من المسرح العالمى

القصة المزدوجة للدكتور بالمى

تأليف : انطونيو بويرو باييخو

ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل

مراجعة : د. محمود مكى

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

من المسرح العالمي
أول ابريل ١٩٧٤
شهرية
٥٥

القصة المزدوجة للدكتور بالمي

تأليف : انطونيو بويرو باييخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

ما قبل الحرب الأهلية :

كانت الحرب الاهلية التى عانت اسبانيا ضراوتها ابان العقد الرابع من هذا القرن (١٩٣٦ — ١٩٣٩) حدا فاصلا بين مرحلتين متميزتين تماما لا من الناحية السياسية فقط وانما من وجهة النظر الفكرية والثقافية بصفة عامة والادبية على وجه الخصوص . ذلك أن هذه الحرب لم تكن مجرد اشتباك عسكرى فرضه الساسة أو أملته طبيعة المناورات بين الحكومة والمعارضة ، وانما كان قمة فوران اجتماعي وغليان فكرى استحالت فيه المعايشة السلمية بين القوى الاشتراكية التى اتسمت بالارتجال والتطرف وأنصار النزعة المحافظة الذين تضافرت قواهم مع كثير من العوامل التاريخية فى الداخل والخارج لتحويل مجرى التطور لصالحهم .

والذى يعنينا هنا هو ان نبرز بعض الملامح الأساسية لقسمات المسرح الاسباني فى فترة ما قبل الحرب حتى ندرك الجذور التى يمتد اليها مسرح اليوم والتيارات التى يتغذى منها ، خاصة وأن ما يعرفه القارىء العربى عن هذه الحقبة محدود حتى الآن لا يكاد يتجاوز بعض المؤلفين ، ومنهم من تنسمنا عبقه بفضل بخور السياسة التى لولا احتراقه بنارها لما اصبح أسطورة مأساوية فى وجدان الفن المعاصر ، وأقصد به **جارثيا لوركا** ، فلم يكن هذا الشاب الشاحب الذى هزت نهايته الفاجعة الضمير العالمي نبتة شيطانية فى حقل أدب مجدب وانما كان عودا أخضر في شجرة باسقة أثمرت أجمل عطائها فى موسمين مفعمين بالخصب والحياة ، **اولهما** فى عصرها الذهبي الذى امتد خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى نهاية الذى يليه والذى تربعت على عرشه ثلاث قمم فى الأدب العالمي ، « سر فانتس » صاحب « دون كيخوته » ومعجزة المسرح الاسباني الذى لقب بالعنقاء « لوبى دى بيجا » ثم «كالرون دى لاباركا» المؤلف المأساوى العميق الذى عاصر شكسبير وطغى عليه فى بعض البلدان الاوربية المجاورة تأثيرا وأهمية .

اما الموسم **الثاني** فقد بدأ مع الجيل الذى تتلمذ عليه لوركا والذى اتخذ من عام ١٨٩٨ — الذى وصل فيه الجزر السياسي والعسكرى لاسبانيا الى مداه — نقطة انطلاق لمرحلة أخرى من المد الثقافي والادبي . من أعلام هذا الجيل الذى سمي بجيل الثمانية والتسعين يهمنا بصفة خاصة مؤلفو المسرح الذين تدين لهم طليعة الكتاب الحاليين لا في نطاق اسبانيا ومريكا اللاتينية وحدهما ، وانما على الصعيد الاوربي أيضا .

وهناك ظاهرة طريفة لا تخلو من دلالة في هذا الصدد ، وهى أن كلا من الكاتبين المسرحيين اللذين توجت أعمالهما بجائزة نوبل الادبية ، أحدهما ـ هو تشيجاراى (١٨٣٢ ـ ١٩١٦) حصل عليها سنة ١٩٠٤ ، والثاني ـ هو بينا بينتي (١٨٦٦ ـ ١٩٥٤) وقد حصل عليها اوائل العقد الثالث (١٩٢٢) ، كان كلاهما كاتبا تقليديا ليس له من فضل على الحياة الادبية الا تثبيت دعائم المسرح الذى يعتمد على « نجارة» محكمة ـ كما يقولون بالاسبانية ـ دون أن يمس سلم القيم البرجوازية الراسخة .

اما أساتذة الطليعة فقد عاشوا غرباء وماتوا وهم يشعرون بأنهم ربما كانوا قد ولدوا فى غير زمانهم او انهم كانوا يحاورون جمهورا أصم ، وفى مقدمة هؤلاء نجد « بايىً انكلان » (١٨٦٩ ـ ١٩٣٦) الكاتب الاسطورى الذى حطم قواعد العرف الادبي السائدة بتجاربه القصصية الجريئة أولا ثم بأعماله المسرحية التي لا يزال المخرجون فى حيرة من أمرها لما تحتاجه من جهد جبار بالرغم من تقدم الوسائل المسرحية فيما يتصل بامكانيات العرض وادوات الاخراج . وبالنسبة للقصة يكفينا مثال واحد لنعرف منه مدى عمق التحول الذى فرضه « بايىً انكلان » على المفاهيم الفنيــة فى عصره ، فنموذج « دون خوان » الذى قدمه الادب الاسباني الى كل الآداب العالمية يعتمـد جوهريا على خصائص أصيلة في تكوين شخصية البطل أهمها : انه وسيم يتخذ من ذلك شركا يوقع به ضحاياه من العذارى ، ، وثانيها أنه لا يعبأ بالدين ولا يقيـم لتعاليمه وزنا فى سلوكه ، وثالثها نوع من الحصانة العاطفية التى تجعله بمنجى من الاشفاق على من يرتمين فى أحضانه ، فهذه هي قواعد اللعبة ، اغراء وايقاع ثم هجر وبحث عن صيد جديد ، ويأتى « بايىً انكلان » ليقدم لنا من رباعيته القصصية الشهيرة البطل النقيض لكل ذلك ، فهو قبيح وكاثوليكي وعاطفي ، ولكنه بالرغم من ذلك نموذج من أقوى واغذب واصدق ما عرف من سلالة الدون خوان .

وفى المسرح كتب « بايىً انكلان » أولا بالشعر ، فقد كانت هذه هي اللغة التى لابد من استخدامها على خشبة المسرح ، فقدم تجارب تاريخية ذات طابع مأساوى عنيف ، ثم ما لبث أن بدأ مرحلة أخرى بالثلاثية النثرية **الكوميديا البربرية** والتى تشمل **نسرالعصا و ذو الوجه الفضي و انشودة الذئاب** ، وقد ركز فيها على بقايا الاقطاع فى المجتمع الاسباني مبرزاً تناقضاته الداخلية ومتسما بلون واضح من التمرد والنقد العنيف ، وذلك فى اطار شكل مسرحي ناضج ، وان كان يقدم صعوبات كثيرة بحريته وكسره للواحدت التقليدية ، اذ يعتمد على لوحات خاطفة تحتاج الى سرعة سينمائية ، لكنه يحفر شخصياته بعمق ويعرض خصائصها بقوة . وفي نفس هذا الخط نجد مسرحيته الرهيبة **الكلمات الالهية** التى تتابع موكبا من الشحاذين فى رحلة الحج والضياع ، والتى يستقطب فيها شحنات انسانية ومأساوية على نفس المستوى الذى نجده مثلا فى الحضيض لجوركي .

ثم يتطور فيه هذا التمرد الى ثورة أصيلة خلال مرحلته الطليعية الحاسمة التى يبتدع فيها قواعده الجمالية الخاصة به ، نابعة من تجاربه فى سلسلته المسرحية

الاخيرة التى اطلق عليها « الشنيع المحال » والتى ترك فيها جانبا الموضوعات التاريخية والمجتمع الاقطاعي ليكشف عن الوجه الحقيقي القبيح ، المزعج والمضحك معا لانسان المدينة ، خاصة الاسبانية فى مطلع هذا القرن . قمة هذه الحلقة **أضواء بوهيمية** تسخر بمرارة مرهفة من فساد الحياة السياسية والفكرية اذ تعرض لنا مغامرات شاعر بوهيمي أعمى لا يذهب مع الناس الى « حارة القط » بمدريد حيث يتسلى برؤية المرايا المقعرة والمحدبة ولكنه يتحول هو نفسه الى مرآة ينعكس عليها عبث الحياة فى عصره الذى يلهو به ثم يتركه فتاتا في نهاية المطاف .

ولم تنج ملكة اسبانيا على عهده « ايزابيلا الثانية » من قلمه الحاد ، حيث لسعها بلاذع نقده ، واصفا اياها فى احدى مسرحياته « بالبغلة الشبقة » التى تعبث بمصائر البلاد . هذه الحدة فى مسرح « بايِّى انكلان » لم تترك لاعماله سبيلا لرؤية النور على المسارح ، واستراح أهل الفن الى رأى تقليدى عن مسرحه ، هو انه قد وضع للقراءة ، ولا يصلح للعرض . وما زالت هذه هي التهمة التى توجه الى أعماله حتى الآن عندما لا تجرؤ المسارح على ما فيها من عرى وعنف وقيم طليعية أصيلة . ولكن التجارب التى قام بها فى السنوات الأخيرة بعض الشبان المخرجين قد اثبتت ان مسرح هذا المؤلف هو الاضافة الحقيقية التى كان بوسع اسبانيا ان تقدمها الى أوربا في الثلث الاول من هذا القرن وأن التذرع بأن الجمهور قاصر وغير مهيأ له لم يؤد فقط الى حرمان عامة الناس من هذه الجرعة التجريبية وانما ادى الى هضم حق المؤلف نفسه ، فقد عرضت بعض أعماله منذ سنوات قليلة في لندن ، وخرج النقاد يشيدون بما فيها من خلق فني وعرق مسرحي ، لولا أنه يقلد بعض أعمال لوركا ، وقد فاتهم ان « بايىِّ انكلان » كان قد كتب هذه الأعمال بينما لا يزال لوركا طفلا فى المهد، وانه هو الاستاذ الحقيقي الذى تعلم لوركا على يديه فن المأساة الاجتماعية الثائرة ، ثم أثره بعبقريته الشاعرة .

وهناك شخصية ثانية من كتاب ما قبل الحرب الاهلية أحب أن أشير اليها فى هذه العجالة ، وهي شخصية مفكر اسباني رائد مارس كل الاشكال الادبية ، القصة والمقال والمسرح ، وتميز فيها كلها بطابعه الشخصي الأصيل وهو « آونا مونو » (١٨٦٤ — ١٩٣٦) الذى كان بالرغم من شخصيته « الاكاديمية » الجبارة — اذ يعد أعظم مدير تولى جامعة سلمنقة — كان مؤسس التيار الوجودى فى الفكر الاسباني المعاصر وكان نموذجا للمثقف المعذب بضميره الادبي ووجدانه القومي معا ، وكتابه « الشعور المأساوى بالحياة » يعكس ازمته الوجودية التى كادت أن تقتله كما ان عبارته الشهيرة « توجعني اسبانيا » تدلنا على مدى تمثله وتمثيله لهذا الوجدان القومي .

وقد شغلت بعض القضايا الفكرية معظم أعماله المسرحية التى تتسم بالطابع التجريدى البحت ، ومن أهمها مشكلة « ازدواج الشخصية » التى بلغت قمتها فى مسرح « بيير اندللو » ثم وجدت تعبيرا قويا عنها فى واحدة من أهم أعمال « أونامونو »

وهي **الآخر** . وكذلك قضية الزعامة بين المثالية والواقع ، التى تناولها اونامونو في اكثر من مسرحية موجها نقده الحاد النفاذ لمفهوم الزعامة كما يتمثل فى المجتمعات الحديثة مستلهما فى ذلك روح « ابسن » فى **عدو الشعب** وكتب صيغة جديدة لمسرحية **فيدرا** الكلاسكية .

وأهم ما يبقى من مسرحه ، هو هذه النزعة التجريبية التى تعتمد على التخطيط البسيط العارى فى البناء الفني ، والعمق الوجودى الزاخر فى المضمون الفكرى ، ولانه لم يكن « نجارا » بالمفهوم التقليدى للصنعة المسرحية لم تعرض أعماله الا على المسارح الجامعية . وان كان التيار الذى خلفه بكتاباته القصصية ومقالاته الأخرى قد جعل منه استاذا غير منازع للجيل الحالي من المثقفين في اسبانيا .

ولم يكن لوركا (١٨٩٨ — ١٩٣٦) ينتمي الى جيل الثمانيـة والتسعين الا بمولده ، ولكنه انضم اليهم فى رحلة الوداع ، عندما وضعت الحرب حدا لتجاربه الواعدة ، وشاعريته المتألقة ، وروحه المأساوى الاصيل ، وليس لي فى هذه المقدمة السريعة أن اتعرض لأعماله بالتفصيل فهو يوشك أن يكون الكاتب الوحيد الذى حظى بالتعريف لدى القارىء العربي ولكن يكفيني أن أشير الى أن النشاط المسرحي الذى استغرق عليه كل حواسه فى السنين الاخيرة لم يكن هو « الحب الأول » له فى دنيا الفن وانما سبقته هواية الموسيقى درسا وتأليفا — ومن هنا كان اعجابه الشديـد بموسيقار اسبانيا « مانويل دى فايا — ثم جولاته فى دنيا الشعر الغنائي واكتشافاته في القصائد السيريالية ، ولذلك لابد من دراسة مفاتيحه الموسيقية والغنائية لمعرفة مدى كثافة رموزه الدراسية وثراء شخصياته ، ثم يأتي بعد ذلك ارتباطه بغرناطة عروس الأندلس بعبقها العربي وحمرائهاالخالدة وأساطيرها المحببة وغجرها الرحالين، والارتباط بالأرض من أهم محاور لوركا الدرامية واغزرها دلالة . على ان أروع اعماله هو ما لم يتخط مرحلة التخطيط ، ما شرع فيه ولم يتمه ، الثلاثية المأساوية التى كان بصدد وضعها عن المشكلة الاجتماعية بعد ان أتم الدورة التراجيدية المرتبطة بالأرض : **عرس الدم — يرما — بيت برنارد البا** ، ولكن القدر لم يمهله حتى يقدم كل عطائه ويقول بقية كلمته بالرغم من ان حفنة المسرحيات التى تركها زودت هذا العصر الذهبي الثاني للأدب الاسباني بدفقة من شبابه العبقرى انتزعته من النطاق الاقليمي الذى حوصر فيه بظلم وارتفعت به الى ذرا الآداب العالمية المعاصرة .

مسرح الهروب :

اصبح الطابع الغالب على المسرح الاسباني بعد الحرب الاهلية وطيلة العقد الخامس من هذا القرن هو الهروب بشقيه المادى والمعنوى . اما الهروب المادى فقد تمثل فى هجرة بقايا الكتاب الواعين بمسئولياتهم الفنية الى أمريكا اللاتينية بعيدا عن ضجيج الطبول التى أعلنتها الجيوش المنتصرة . ونذكر من أهم هؤلاء المهاجرين اثنين على وجه التحديد ، هما أليخاندور كاسونا وماكس أوب .

اما الاول فيعنيني على وجه الخصوص ان أشير الى التيار الانساني الذي تزخر به أعماله والى الصراع « الايديولوجي » الذى اختتم به حياته . وذلك انه منذ أن كتب كاسونا (١٩٣٥) « صديقتنا ناتاتشا » وقدم فيها تجربة حية تعتمد على لون من الاشتراكية التربوية وهو يدرج فى عداد كتاب اليسار ، الا ان أول عمل لمع به اسمه فى عالم الادب وأجيز عليه من الدولة هو **الحورية الهاربة** يحمل حتى فى عنوانه بذور نزعة أخرى تتلفع بالشعر وتحتمي بالمثالية وان لم تنجح فى اخفاء حقيقتها الواضحة وهي انها هاربة تضرب في متاهات غيبية ، تتلاشى فيها الحدود الفاصلة بين الحكم والواقع، وهي نزعة عميقة الاصالة فى الأدب الاسباني كله منذ أن وضع كالدرون دى لا باركا اساسها الفلسفي فى مسرحيته **الحياة حلم** ، ولا يمكن تجاهل ما فيها من ثراء انساني يضيف الى الواقع الملموس رؤى النفس الحية ومشاهد الضمير الداخلية ، الا ان الظروف التى كتب فيها كاسونا أعماله هذه كانت تدعو الى نوع من الالتزام بقضايا مجتمع منتكس ، قد أجهضت فيه طلائع الارهاصات الثورية ، بيد أنه ترك وطنه يلعق جراحه واخذ يتناول قضايا تجريدية مثل مشكلة الشر والندم واغراء الشيطان العتيد فى **مركب بلا صياد** ، والموت وعذوبته الشعرية وحكمة الاقدار التى تذكرنا بمثلنا الشهير « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع فى **سيدة الفجر** والخيانات الزوجية المبتذلة على الطريقة البرجوازية فى **ثلاث زوجات كاملات** ، الا ان اقامته في المهجر كالانبياء الذين لا كرامة لهم فى أوطانهم وذيوع صيته فى الاوساط الادبية العالمية قد عقد حوله هالة من التقدير الخاص فى اسبانيا حتى بين مثقفي اليسار ، الذين سرعان ما أعلنوا خيبة أملهم فيه عند عودته الى وطنه سنة ١٩٥٧ ، لا لانهم أخذوا عليه مهادنته للنظام القائم ، فهم أنفسهم كانوا ولا يزالون يعيشون فى ظله ، وانما لسبب آخر أخطر من ذلك ، وهو أنهم تبينوا على حين غرة ـ وكأن الظروف كانت قد ألهتهم عن هذه الحقيقة ـ انه بحكم طبيعة مسرحه الهروبي الذى يخلو من كل التزام ، بالقضايا الجوهرية فى التقدم القومى والانسانى معا لا يقل تواطؤا عن أعتى كتاب اليمين . ولم يفلح النجاح الشعبي الذى أحرزته بعض اعماله عندما عرضت على مسارح مدريد ان تمحو من حلقه هذه المرارة التى تركتها فيه خصوماته مع شباب الطليعة ، مما حداه الى اتخاذ موقف ذى دلالة عميقة فى آخر أيامه ، عندما أراد أن ينضم الى قافلة الكتاب الملتزمين فاستلهم خط المسرح التاريخي النقدى الذى كان قد تقدم فيه أحد هؤلاء الشبان الواعدين وهو على وجه الدقة « بويرو باييخو » الذى نقدم لمسرحيته بهذه الكلمات فكتب كاسونا **الفارس ذو الهماز الذهبي** ولكنه كان قد بنى مجده على نوع آخر من المسرح الشعبى اللاواقعى ، فلم يستطع أن يحفر بعمق فى هذا الاتجاه الجديد .

الا أنه يمكننا أن نثبت لكاسونا توفيقه الكامل فى أمرين : **احدهما** يتصل بهذه المهارة الفنية التى تتسم بها اعماله من حيث « التكتيك » المسرحي والتى تشهد بأستاذيته فى بناء الدراما وتجعل من أعماله دروسا ممتازة فى هذه الصنعة عندما

نحاول تحليل تركيبها ودراسة ادواته الفنية الناجمة فيها ، اما الامر **الثاني** فهو قدرته على تمثل بيئته الأصلية في شمال اسبانيا وهي اقليم « أستورياس » بكل عبقه وخصائصه بحيث نتنسم من أعماله عبيرا لطبيعة الناس وروائحتهم فيها ، وننفذ الى ما هو أعمق من ذلك ، وهو طبيعتهم الصلبة الصابرة . ومسرحية **الإشجار تموت واقفة** تعد من أقوى ما يكشف عن هذه الصلابة التى تدعو الى الاعجاب والتعاطف .

اما الكاتب الثاني من هؤلاء الهاربين الى المهجر فهو « ماكس أوب » وهو يعتبر حالة فريدة فى تاريخ الادب الاسباني المعاصر ، فقد ولد في فرنسا وتربى فى « بلنشية » وقدم باكورة اعماله فى مدريد ثم فاجأته الحرب الاهلية فنجا الى المكسيك حيث يقيم فيها الى الآن .

مارس الكتابة القصصية حتى بعد أن عثر على صيغته الفنية المفضلة ، وهي المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد التي تتوافق بطبيعة بنائها المركز المدور مع أفكاره المحددة النافذة كأنها طلقات الرصاص ، ولكنها طلقات معبأة بأقوى شحنة سياسية ، يمكن للأدب ان يتحملها ، ويكفي ان نستعرض بسرعة الحلقات التي قسم أعماله اليها فى مؤلفاته الكاملة التي مازالت ممنوعة التداول فى اسبانيا ، لنرى مدى احترافه بنار الالتزام المباشر الذى يجعل من أعماله وثائق دامغة لعصره ، كما نرى فيها أن نطاق همومه قد اتسع ليشمل — بالاضافة الى مشكلته القومية — المسألة الاوربية والعالمية بأكملها . آخر مسرحياته **صورة الجنرال النصفية وهو ملتفت الى اليسار** نقد حاد لموقف الجيل الحالى كله من حرب الفيتينام ، وأهم هذه الحلقات : — مسرح الظروف الذى يشمل ثمانية أعمال تتناول كلها مأساة الحرب الأهلية ، والمنفيون ، ومسرح أسبانيا فى عهد فرانكو ، ومسرح العودة — لم يعد ماكس الا زائرا عابرا منذ ثلاث سنوات — هذا الى جانب أعماله الاخرى الهامة مما يسميه المسرح الأكبر .

وقد كانت النتيجة التي ترتبت على هذا الموقف الذى يجعل من الأدب سلاحا سياسيا مباشرا ان اتسعت الهوة بينه وبين جمهوره ، وتفاقم الوضع فيما يتصل بامكانياته للعرض والنشر ، وأصبح مسرح أقلية ، لا بما يتضمنه من قيم طليعية او بما يعتمد عليه من صيغ تجريبية فقط ، ولكن بما يعبر عنه من روح موتور يستنفد كثيرا من طاقته فى مسارب الرفض والادانة ، بل والحقد العنصرى ايضا .

اما الجناح الثاني من هؤلاء الكتاب الهاربين ، فهم الذين رضوا بحياة الدعة والاستقرار والاطمئنان الى الأوضاع القائمة ، وهم وان لم يهجروا وطنهم قد هجروا شيئا أغلى منه وهو واجبهم الرائد فى تحمل مسئوليته ومجابهة قضاياه ، وربما لم يكن هذا الموقف مقصودا ولا متعمدا ، وانما كان نتيجة للروح السلبي الذى لايقوى على المقاومة ، وانما يؤثر الخلود الى الرضا والاستكانة . ويمكننا ان نميز بين هؤلاء

تيارين مختلفين غاية الاختلاف ، وان كانا يصبان فى منبع واحد فى نهاية الامر، احدهما يتكون من كتاب « الكوميديا » ممن يغطى الألم بالابتسام ويدارى الصراخ بالقهقهة ، وكلما ازداد عرق المرارة فى أعماله كلما ابتعد عن الاطار الوردى الذى يقربه من النجاح ، ويصله بجمهور مخدر الاحساس يريد أن ينسى جراحه حتى تندمل مستغرقا فى ديمومة الفكاهة التي قد ترق وتصغر حتى تصل رغما عنه الى البكاء . ولعل أصدق هؤلاء الكتاب حسا هو « ميجيل ميورا » ذلك المؤلف العذب الذى كتب فى الثلاثينات **ثلاث قبعات من الطراز الكوبى** فرفضها المسئولون عن المسارح لغرابة فكاهتها وجرأة روحها ، ولشيء آخر لم يتبينوه حينئذ ، ثم عرضت بعد ذلك بعشرين عاما فأخذوا يضربون كفا على كف لانها لم تكن الا ارهاصا بمسرح اللامعقول ودخولا اليه من باب المهزلة ، ثم كتب بعد ذلك جملة من « الكوميديات » التي كانت بالنسبة للجمهور بمثابة الكهف السحرى الذى يعثرون فيه على أوهامهم المفقودة وخيالهم المضغوط وافراحهم المجهضة ، والذى قام بدور أساسى فى الوصول الى هذا الهدف الذى اصبح مقياس النجاح فى اسبانيا ، وهو نسيان الواقع او التسامي عليه .

ثم تأتي بعد ذلك طبقة كتاب اليمين ممن تقوم مصالحهم على الدفاع عن التقاليد الثابتة وممارسة نوع من الوصاية التي تتكىء أحيانا على الدين ، وأحيانا اخرى على العرف . وربما كان أكبر ممثل لهذه الطبقة هو « خوسيه ماريا بيمان » الذى يتربع على « عرش » الأدب الاسباني المعاصر ، وهو نموذج للاديب التقليدى الذى ينظم الشعر ويلهج بدراسة العصور الكلاسيكية بروح البنوة لها والدفاع عن قيمها ، ولو أخذنا آخر أعماله المسرحية الذى عرض فى مدريد طيلة عام (١٩٧٠) **ثلاثة شهود** مقياسا لأصالته لرأينا فيه هذا الترقيع التقليدى بين صيغ تقدمية تطمح الى تقديم تجارب طليعية فى الشكل ، لا تقوم على قاعدة من رؤية حقيقية ، فتفضح افلاسها عندما تلجأ الى تملق الشعور الدينى لدى الجمهور وتثير السخرية عندما تبعث على خشبة المسرح الآن صراعات تقليدية مثل الصدام بين **المواضعات** الاجتماعية والروح الفردية ثم تقدم حلولا « رومانتيكية » تحاول ان تكسب طابع الجلال بالضغط على نغمات كهنوتية مستهلكة .

ولما كان هذا هو حال المسرح اليميني فى اسبانيا فان الأوساط الثقافية هناك كانت تتحرق شوقا الى مولد مؤلف جديد ، مؤلف قد تجاوز طوفان الحرب الاهلية ونجا منه بحياته وضميره معا ، لم يهرب الى مهجر ينعم فيه براحة الجسد فى ظلال امن غريب عن قومه او سعادة لايشاركه فيها أهله ، كما انه لم يهرب من مسئوليته كذلك غارقا فى لذات السلبية او مستغرقا فى سبات الاستلاب والاستسلام . هذا المؤلف دق خشبة المسرح سنة ١٩٤٩ بمسرحيته التي اعتبرت بداية عهد جديد فى تاريخ الادب الاسباني وهي قصة سلم ، وهاك أولا شيئا عن حياته .

شخصية بويرو باييخو :

ولد انطونيو بويرو باييخو فى مدينة صغيرة تبعد عن مدريد خمسين كيلومترا تقريبا وتسمى بالاسبانية « جوادا لخارا » وهو اسم محرف عن الاصل العربى « وادى الحجارة » وذلك فى ٢٩ من سبتمبر سنة ١٩١٦ ، ومنذ طفولته المبكرة كان المسرح هو لعبته المفضلة ، فكم عبث مع رفاق صباه ببناء مسارح من الصناديق الخشبية وممثلين من الاوراق المقواة دون ان يدرى انه يخط بذلك قسمات مستقبله فى هذا العالم الفنى الساحر ، وكان أبوه مهندسا يعمل فى القوات المسلحة الا انه كان يتمتع بحس مرهف يتعشق الرسم ويهوى المسرح ، فنشأ مؤلفنا يحبو بين مجلدات الفن ومؤلفات الادب ، وكان أبوه هو معلمه الأول فسرعان ما دربه على القراءة ثم أخذ يطوف به فى معالم الثقافة المتنوعة عندما شب عن الطوق ، ولم يكن غريبا على هذا الصبي ان يسمع أباه وهو يتحدث عن النسبية وعن الزمن كبعد رابع مما بعث فيه فضولا قويا وشوقا مبكرا الى اكتشاف كنه الوجود والتغلغل فى باطن ألغاز الكون ، وقد حداه هذا الفضول الى قرأءة كثير من الكتب العلمية فى الطبيعة وغيرها مما يفسر ظاهرة هامة سنجدها فى مسرحه بعد ذلك ، وهي تعشقه لهذا النوع من المؤلفات الادبية التي تعتمد على الخيال العلمي وترتكز على المكتشفات الحديثة بل وتسبقها فى بعض الاحيان . ولنأخذ نموذجا لذلك مسرحيتين من آخر نتاجه فى السنوات القليلة الماضية وهما **الكوة** التي تعتمد على فكرة طريفة وجريئة فى خيالها العلمي ، فهي عبارة عن تجربة يجريها رجال المستقبل بعد عصرنا بعدة قرون لاعادة بناء أحداث تمت فى الماضى البعيد بالنسبة لهم – هو وهذا القرن العشرون – ملتقطين من الفضاء بذبذبات خاصة صور هذه الأحداث كما جرت بالضبط ، على اعتبار ان هذا الفضاء يضم بين جنباته كل أسرار الوجود ، دون أن تضيع منها ذرة ، اما التجربة الثانية فهي كتابه الذى وضعه للأوبرا ولم يقدر له ان يغنى على المسرح حتى الآن وهو **أسطورة** الذى نجده مشحونا برموز انسانية مكثفة ودلالة اجتماعية قاطعة ، بيد انه يستخدم فى اطار فني محكم طاقة هائلة من الخيال العلمي فيما يتصل بعوالم الفضاء وأسراره الكبيرة . ونعود الى حياة « بويرو باييخو » بعد ان وضعنا اصابعنا على هذا العامل الأول فى مكوناته الفنية ، فنجده بعد اتمام دراسته الثانوية سنة ١٩٣٤ يلتحق بالمعهد العالي للفنون الجميلة بمدريد وهو « أكاديمية سان فرناندو » ليدرس الرسم اشباعا لهوايته واستدادا لمستقبل مهني متناغم مع امكانياته الا أن الحرب الأهلية التي نشبت بعد ذلك بعامين قطعت عليه دراسته عندما اصابت كل مظاهر الحياة فى اسبانيا بالشلل ، ومن يومها لم يعد مؤلفنا الى استئناف دراسة منظمة من أى نوع ، اذ انه انضم لصفوف القوات الجمهورية وحارب معها طيلة السنوات الثلاث ، مما انتهى به الى ان يحكم عليه بالاعدام بتهمة « الانضمام الى حركة التمرد » وظل ثمانية شهور يتوقع كل صباح ان ينادي عليه ليأخذ مكانه

تحت المقصلة ، الا أن حكمه قد خفف ضمن عمليات العفو والاسترضاء الجماعية الى السجن الذى ظل فيه حتى عام ١٩٤٦ . وحاول بعد خروجه أن يبنى حياته من جديد متخذا من الرسم وسيلة لكسب قوته الا انه لم يلبث حتى تحول الى ممارسة فن الكلمة بدلا من الفرشاة التي عجزت فى يده عن التعبير عن كل ما يعتمل فى نفسه من أحاسيس ، وما يرهق ضميره من مسئولية اجتماعية وادبية ، وعندئذ اكتشف المسرح كوعاء يستطيع ان يصب فيه همومه وأشواقه ، وان يعبر من خلاله عما التزم به من قضايا انسانية واجتماعية وقومية . الا أن هذا الوعاء على كثافته كان لا بد له أن يشف عن هذين العاملين الآخرين اللذين اجملناهما فى حياته واصطبغ بهما كل نتاجه ، وهما الرسم والحرب .

اما الرسم فقد ترك بصماته على كاتبنا فى طبيعة بنائه الفني لمسرحياته ، وما تزخر به من عناصر تشكيلية . وفى الدراسة المطولة التي أرجو أن انشرها يوما عن مسرحه قمت بتتبع هذه العناصر ابتداء من وصفه المستفيض للمناظر بطريقة توحى بأنه يبنى خشبة المسرح بازميل نحات ، أو يحدد معالمها بريشة رسام ، وأقرب شاهد على ذلك هو الوصف المطول الذى يضعه لمناظر هذه المسرحية التي نقدم لها ، الى ما يترسب فى بعض أعماله من معارف فنية لا تتاح لكل النـاس تنم عن مدى عمق احساسه باللون واصالة ادراكه للخطوط ووعيه بما هو أدق من ذلك وهو طبيعة لحظات الخلق عند الفنان التشكيلي ، ففي مسرحيته **الوصيفات** ــ على اسم أشهر لوحات الرسام الاسباني العظيم بيلاثكيث التي تعتبر جيوكندا متحف البرادو فى مدريد ــ يقدم لنا « بويرو » فى طيات الحوار حفنة من اللفتات الذكية عن التكوين الضوئي فى اللوحات والرؤية الجديدة للألوان والظلال لا يمكن أن تتيسرا لغير رسام محترف ، ولكنه يذهب الى ما هو أبعد من ذلك فى مسرحيته الاخرى **حلم العقل** التي تتناول المرحلة الاخيرة من حياة رسام اسبانيا الاكبر « جويا » اذ يدخل عددا من لوحاته ــ عن طريق صورها التي تعرض على الحائط ــ فى صميم النسيج الدرامي ويجعلها جزءا من الأحداث تتقدم بها فى مجال التوتر الموضوعي ، وتعبر عن أدق لحظات القلق والتأزم عند الفنان . وعندما نتتبع كذلك رموزه الضوئية ودلالة النور عنده ثم دور المكان والمسطحات فى مسرحه ، نجد التزاوج الأصيل بين الرسم والمسرح فى البناء والروح والأداء .

اما العامل الآخر ، وهو الحرب ونهايتها الفاجعة الخاسرة بالنسبة له ، ثم ما أعقبها من مواجهة الاعدام كل صباح طيلة ثمنية شهور ، والسجن طيلة سبع سنين ، كل هذا دمغ قلب « بويرو » وعقله معا بطابع مأساوى لا تخطئه العين فى كل مؤلفاته ، وقد أدرك « بويرو » الشروط التي يجب ان تتوافر لاعماله حتى تحقق الصـدق الوجودى والفني معا ، ووقع على مكانه الصحيح فى المسرح عندما أخذ على عاتقه مهمة طموحا وصعبة وهي تجديد المأساة واخضاعها لظروف العصر ، وقد كتب عشرات البحوث فى هذا الموضوع مستوفيا جوانبه التاريخية والفنية والاجتماعية ، ثم اجمل

خلاصة نظريته عن المأساة الحديثة فى دائرة معارف المسرح التي نشرت في اسبانيا سنة ١٩٥٨ ، الا ان أصدق مرآة لهذا الروح المأساوى الاصيل ستظل هى أعماله المسرحية التي تعكس شعوره الناجح بالحياة واحساسه الطاغي بقيمتها ، على ما يمتزج بذلك من تشاؤم خفيف تكسر حدته دائما نبرة من الأمل الرشيد الذى لا يستهين بالمصير ، وان كان يؤمن بامكانية تحويله ، ولا يفرح بالحياة وان كان لا ييئس من اصلاحها ، وكم كتب « بويرو » من دراسات يشرح فيها طبيعة هذه « المأساة المفعمة بالأمل » على ما فى ذلك من تناقض ظاهرى ، وان كانت خير وسيلة لفهم هذه القضية هي قراءة أية مسرحية من أعماله الخلاقة ، ولتكن التي نقدم لها بهذه الكلمات .

وقد توفر كاتبنا بعد أن نبذ الرسم على التأليف المسرحي يعطيه كل وقته وطاقته ، ويعيش مما تدره عليه أعماله دون أن يشغل نفسه بأى عمل أو يتولى آية وظيفة أخرى ، وهو وأن كان مقلا فى نتاجه الذى لا يتجاوز حتى الآن عشرين مسرحية، ترجم عدد منها الى معظم اللغات الحية ، وكتبت عنه عدة رسائل جامعية فى أوربا وأمريكا ، الا أنه قد استطاع أن يفرض شخصيته الفنية على الاوساط الرسمية فى اسبانيا التى اضطرت أخيرا الى الاعتراف به ــ على عدائه للنظام الحاكم ــ كواحد من أهم كتاب المسرح فى العصر الحديث، فسمحت باختياره فى (فبراير عام ١٩٧١) عضوا فى مجمع اللغة الملكي بالرغم من أنه معروف برأى واضح فى الملكية عبر عنه أخيرا فى مسرحيته التي أشرنا اليها **حلم العقل** ولكنه يلتـزم دائما بموقف حكيم فى امـور السياسة اذ يركز دائما على الاسس الفلسفية للانظمة ويعتدل فى نقده للجوانب السلبية منها ، ويرى على وجه الخصوص ان التطرف خسارة للقضية التي يدافع عنها دائما وهي الحريات الخاصة والعامة ، وأن بوسع الفنان أن يقدم حلولا فكرية وأدبية دون أن يعلن الحرب الصريحة على المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى لا ينسف الجسور التي تربطه به .

وبالرغم من ذلك فان موقف السلطات منه مضطرب لا يستقيم على وضع ، فبينما يقدرون له شرف اهدافه ونبل ادواته ، وعظمة قيمته الادبية فيسمحون له بالحصول على كثير من الجوائز التى لا يخلو عام من أخبار اهدائها اليه ، اذ بهم من ناحية أخرى يترددون كثيرا قبل إن يجيزوا فى الرقابة بعض اعماله ، ونفس هذه المسرحية **القصة المزدوجة للدكتور بالمى** ما زالت ممنوعة فى اسبانيا من العرض على المسارح أو النشر فى كتب . ولكن ترجمتها الانجليزية قد عرضت فى انجلترا عام ١٩٦٩ ثم طبعت مع النص الاصلي فى احدى المجلات الامريكية بعد ذلك .

خصائص مسرحه :

وعندما نعمد الى المواجهة المباشرة لاعمال « بويرو » الدرامية بعيدا عن آية أحكام مسبقة ، نجد انها تنحل عند التحليل وتتمركز فى أربعة مجموعات كبيرة ، تمثل كل منها حلقة متصلة الاطراف ، أولاها تعتبر وثائق اجتماعية تشهد على عصرها وتمثله ، بينما تقع الثانية داخـل الاطار التاريخي ، أما الثالثة فتنفذ الى أعماق الطبيعة الانسانية ، بينما تدور الرابعة حول العلاقة بين الحلم والواقع .

وتبدأ الحلقة الاولى بمسرحيته الشهيرة **تاريخ سلم (١٩٤٩)** التي نالت جائزة لوبس دى بيجا ، وعرضت على المسرح القومي فلقيت من اعجاب النقاد ، وتقدير الجمهور ما جعل هذا المسرح يؤجل لأول مرة في تاريخه عرض **دون خوان تنوريو** التي يقدمها في شهر نوفمبر من كل عام والتي تعتبر من أقدس الطقوس الأدبية والمسرحية في اسبانيا خلال هذا القرن ، ويرجع نجاح **تاريخ سلم** الى انها أول مسرحية بعد الحرب الأهلية تمثل اتجاه الواقعية الجديدة وتعرض بشجاعة واخلاص المشاكل الطبقية ملتزمة بموقف نقدى خاص من المجتمع الاسباني ، ورؤية مستقبلية ناضجة لا تغتر بأمل ساذج وان كانت لا تغفل خطورة حالات الاستلاب التي يرزح تحت عبئها انسان العصر الحديث ، وجاءت بعد هذا بعدة سنوات **اليوم عيد** (١٩٥٦) لتمس بضعة من مواجع المجتمع الاسباني الذى ما زال ينشد العدالة ويبحث عن طريقه للخلاص ، وهي تدور حول ظاهرة شائعة فيه ، هي اعتماد الطبقات الفقيرة على احلام الثراء التي تتيحها معجزات « اليانصيب » كآخر أمل تبقى لهم لتجاوز حالات القهر والضغوط الاجتماعية بعد أن أصبح العمل المشروع لتطوير النظم الاقتصادية يلتبس دائما بالنزعة الفوضوية التخريبية التى تسيء الى الحركة الثورية . على أن مسرحية **اليوم عيد** الى جانب هذا تقدم لنا نموذجا انسانيا واحدا على الاقل من اصدق ما نطالعه في الأدب الاسباني ، وهو هذا الشخص الذى يصدق عليه المثل العربي « سبع صنائع والبخت ضائع » الذى لا يستطيع ان يحقق مواهبه المبدعة في مجال الابتكارات الكبيرة فيستنفذها في خلق لعب يبيعها لمن يتاجر بها في الاسواق والموالد ، ويستحيل الرماد في يديه الى مسحوق يفيد في أي شيء ، وهو الى جانب ذلك عامر القلب خصب الانسانية عظيم الايثار ، يحيل المأساة التي تحيط به الى مهرجان حقيقي للتعاطف والمودة بين الناس . وعلى نفس هذا الخط تأتي مسرحية **الكوة** (١٩٦٧) التي تمس بوضوح لاول مرة أزمة الضمير التي طالت لدى من انتصروا في الحرب الاهلية ، وأزمة الوجود التي سحقت من هزموا فيها ، وهي وثيقة اجتماعية في غاية النضج والأهمية ، تحكى لنا تاريخ أسرة ـ تعتبر نموذجا لعشرات الآلاف من الأسر هنا ـ وقفت ذات ليلة على رصيف السكة الحديدية تنتظر القطار الذى يقلها الى العاصمة بعد انتهاء الحرب ، هذا القطار الذى لايتمكن من ركوبه الا الولد الاكبر للاسرة الذى يحمل معه زادها ويترك البقية يلهثون على الرصيف ، فتموت منهم الطفلة الصغيرة من الجوع ، ويختل عقل الأب من الجنون ، ولا تدور الاحداث الا بعد هذا بعشرين سنة عندما نرى نفس هذه الاسرة تسكن « بدروم » احد المنازل ، وتترقب من خلال كوة على سطح الارض اقدام العابرين كأنها امام شاشة صغيرة بينما يجمع الاب قصاصات الصور من الصحف والمجلات ، ولا يفتأ يسأل عن ماهية أصحابها . ثم يشتد الصراع بين الابن الناجح الذى « ركب القطار » ووصل في المجتمع الى مكانة مرموقة بفضل استغلاله وقدرته الوصولية وبين أخيه المثقف الذي رفض هذه الوسائل وآثر عليها حياة بائسة ولكنها شريفة ، ثم تتداخل في ذلك عوامل عاطفية وانسانية تصل الى ذروتها في شخصية الاب المذهول الذى يتعاظم قدره حتى يمثل

فى نهاية المسرحية قوة العدالة الالهية ، ويتم على يديه الانتقام ، كل هذا يعرضه المؤلف « بتكتيك » تقدمي تجريبي ، يجعل من هذه المسرحية واحدة من أقوى ما شهده المسرح الاسباني المعاصر وأكثرها دلالة وامتلاء وتعبيرا عن الانسان الحديث.

وتختم هذه الحلقة حتى الآن بمسرحية **القصة المزدوجه للدكتور بالمي** (١٩٦٨) التي سنفصل عنها الحديث بعض الشيء فى ختام هذه المقدمة . واذا كانت هناك قيمة أساسية ينشدها المؤلف فى هذه المجموعة ، ويلتزم بها فهي التركيز على الحريات الشخصية والعدالة الاجتماعية باعتبارهما أنبل ما ينبغي الحرص عليه من خلال التجربة الانسانية العريضة ، وهو اذ يصل الى هذه النتيجة عبر رحلة شاقة يجوس فيها خلال الواقع التاريخي المرتبط بزمان ومكان محددين لا يتسم لهذا بنزعة محلية ضيقة ، وانما ينفتح على آفاق عالمية بفضل الصدق الذى يعبر به والخير الذى يهدف اليه وبفضل شيء آخر يفوق ذلك فى الاهمية ، وهو محاولته الدائبة فى البحث عن قيم جمالية جديدة من خلال تجاربه الفنية التي تجعل من كل مسرحية كشفا عن وسائل جديدة فى فن المسرح واضافة حقيقية لميدانه .

اما الحلقة الثانية التي تدور فى الاطار التاريخي فهو يبحث عن جذور هذا الوضع الراهن فى الظروف العصيبة التي مر بها الشعب الاسباني خلال تمزقاته التاريخية ، وقد اختار ثلاث شخصيات اساسية جعلها محور هذه الاعمال : الماركيز دى اسكيلاتش : الوزير الايطالي الطموح الذى حمل لواء الاصلاح فى عصر النهضة والتنوير ، بطل مسرحية **حالم من أجل الشعب** (١٩٥٨) والذى اخفق فى مهمته بسبب تآمر الاستقراطية عليه ، وجهل الشعب بأهدافه ، اذ انه كان يتبنى سياسة خاطئة شعارها مصلحة الشعب ولو بدون هذا الشعب ، مما جعله يتحول الى حاكم مطلق يقاومه الناس حتى عندما يشرع القوانين التي يراد بها خيرهم ، وبالرغم من الاطار التاريخي الذى تدور فيه فان ما تمسه من قضايا حيوية لايزال محور صراع وجدل حتى الآن ، ثم شخصية « بيلا ثكيت » التي حملها « بويرو » فى مسرحية **الوصيفات** (١٩٦٠) رسالة ملتزمة ربما كانت أكثر مما تطيق ، اذ جعل منه وهو ربيب القصور — ككل الرسامين فى عصره — ثائرا سبق عصر الثورات ، ورائدا أضاءت له عبقريته الفنية معالم رسالة الحق والخير والجمال ، ثم ختم هذه الحلقة بمسرحية أخرى استمدت موضوعها من تاريخ اسبانيا القريب واتخذت من رسام آخر هو « جويا » محورا لها ، وقد استطاع « بويرو باييخو » فى هذه المسرحية ، **حلم العقل** (١٩٧٠) ان يخطو بالمسرح الاسباني أهم خطوة فى سبيل ربطه بالتيارات الاوربية الحديثة ، اذ انه قد اعتمد على مافي حياة الرسام الكبير ونتاجه الخالد من طابع العبث واللامعقول ليجعل من مسرحيته اول صيغة معقولة ومبررة وأصيلة لهذا التيار الفني الجديد . فبالرغم من ان الكاتب الاسباني « أرابال » أحد اعلام هذا الاتجاه الى جانب بيكيت ويونسكو وغيرهم قد مارسه منذ وقت طويل خلال اقامته فى فرنسا ، الا انه لم ينبثق من ضرورة اجتماعية او تاريخية قومية ، بل « تمذهب »

عقليا فى هذا التيار واندمج فنيا فيه ، اما « بويرو » فقد « ولد » عنده هذا الاتجاه من خلال معانقته للمستحيل فى جذوره الاجتماعية وبيئته الخاصة ، فشخصية « جويا » التي تمثلت فيها فى مرحلتها الاخيرة ارهاصات « بيكاسو » وتجريداته من ناحية ، ولا معقولية التعسف الظالم للحكم الفردى من جانب آخر انصهرا فى نفس مؤلفنا وجعلا من الصيغة اللامعقولة التعبير الوحيد الطبيعي عن واقع عبثى يند عن الاطار التقليدى ويخرج على المنطق المعهود للاشياء .

ولعله بذلك يمثل أحدث تطوير للواقعية الجديدة فى تزاوجها مع مسرح العبث واضفائها طابع الجدية والالتزامعليه .

وفى الحلقة الثالثة التي تدور حول الطبيعة الانسانية وشروطها الخاصة تتسع دائرة طموح المؤلف لتتجاوز المشاكل الاجتماعيـــة المباشرة او الظروف التاريخيـــة المحددة ، فهو يخضع هذا الانسان الذى يعتقد انه فى جوهره مشكل وملغز للـــون من التحايل الدرامى لأشواقه وآماله وقيوده ، خاصة هذه الاخيرة : قيوده التي لايستسلم للاعتراف بها . فهي بهذا اعمال ذات طابع ميتافيزيقي واضح وان كانت حرارة النبض الانساني واحكام الصيغة الفنية ينقذانها من تجريديـــة الفلســـفة ونظرياتها الباردة عن الانسان .

وأول أعمال هذه الحلقة فى الظلمة المتوقدة (١٩٥٠) هـــو على وجه التحديد المحاولة الأولى « لبويرو » فى كتابة المسرح وان كانت ثاني عمل يعرض له ، وقـــد تناول فيها تجربة طريفة هي حياة مجموعة من الشبان العميان فى مدرسة داخلية حاول منظموها ان يوفروا لهم جوا « طبيعيا » يمارسون فيه سلوكا لايختلف عن سلوك المبصرين ، فهم يزاولون الالعاب الرياضية ، ويتغلبون على عقدة النقص والشذوذ التي تجعلهم انصاف بشر ، الا أن دخول شاب متمرد ذكي ذو شعور مأساوى حاد الى هذا الوسط سرعان ما يكسر القشرة الزائفة ، ويكشف لهم عما فى حياتهم من تناقض ، وكيف انهم يدفنون رؤوسهم فى الرمال عندما يتجاهلون الواقع المر الذى يقيد بالرغم منهم كل حركاتهم ، ويضعهم داخل شروط العجز الواضح التي لاتنصفهم محاولات التسامي عليه . ويكفي لهذا المتمرد ان يلقي بذور الشك فى نفوسهم حتى تضطرب الجماعة ولا يكون هناك مفر من طرد هذا الدخيل الذى نجح فى اذلال غرورهم ، وتكون الجريمة التي يرتكبها أخلص أنصار « النظام القائم » بقتل زميله المتمرد فى حقل الالعاب الرياضية هي الحل الذى يختم المسرحية وان كان لا يسمح على الاطلاق لهذه الجماعة ان تعود سيرتها الأولى ، فهناك شيء عزيز قد كسر داخل نفوسهم عندما القى هذا الشهيد فى وجههم بكلمة حق ، ثم مضى عنهم الى عالم آخر ، عالم تلمع فيه النجوم اللانهائية حيث يمكنه ان يحقق المستحيل الذى ظل طيلة حياته ينشده وهو الرؤية واختراق الحجب . وقد رأيت فى هذه المسرحية عند تحليلها التفصيلي انها استعارة كبيرة للمجتمعات المخدوعة التي يوهمها الطغاة بطبيعية وضعها ، ويحاولون ترويضها على قبول العجز حتى يأتي اليها من يحملها

على الاعتراف بما هي فيه من ضلال ، ويدعوها الى مواجهة الواقع بشجاعة واخلاص بالرغم مما فيه من قسوة ومرارة .

ويبدو ان « بويرو » قد وجد في موضوع العمى ـ كرمز للعجز الانساني مادة خصبة فعاد اليه في مسرحية **كونشرت سان أوبييدء** (١٩٦٢) التي يجسم فيها اشواق الانسان للارتفاع على قيوده وتخطيها بالرغم من العوائق المضادة التي تنزع الى تحطيمه ، ويتخذ مؤلفنا من حادثة تاريخية وقعت في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر منطلقا له ، اذ يقع على خبر مؤداه ان أحد المتعهدين قد كون فرقة موسيقية من العميان ثم جعل يدور بهم في الاسواق وموالد القديسين منتزعا بحركاتهم العشواء ومظهرهم المضحك اعجاب المتفرجين واموالهم ، وكان هذا قبيل اختراع طريقة « بريل » وارهاصا له . يلتقط « بويرو » هذا الخبر ثم يبني عليه مأساة قوية قوامها رغبة أحد هؤلاء العميان المتحرقة أن يعرف اصول العزف الحقيقية ، ويتعلم الموسيقى الجادة ، ويقرأ النوتة ، ثم صراعه المرير في ميدانين : احدهما هو يأس زملائه واستهتارهم وتركهم أنفسهم الانصياع الآخرين . اما الميدان الثاني فهو استغلال هذا المتعهد البشع لعجزهم وقتله لكل ماهو انساني نبيل فيهم قبل ان يحولهم الى مهرجين ، وتدخل المرأة لتزكي لهب الصراع وتكشف عن اعماق اجتماعية ونفسية خصبة في المأساة التي تنتهي مثل سابقتها بالموت ، لكنه موت يترك باب الامل مفتوحا لينبلج منه الصباح بعد ليل مظلم طويل ، والضحية هذه المرة ليس هو الاعمى المغلوب على أمره ولكنه جلاده ومستغله ، اذ يتمكن الاول من أن يلج على المتعهد مكمنه ويطفيء عليه المصباح ، فيصبح أقوى منه بما تعود عليه من الظلمة ثم يقضي عليه بضربات ماهرة سديدة ، وكأنه يقضي فيه على رمز النزعات الدنيئة في الانسان التي تجعله لايتورع عن المتاجرة بضعف الآخرين وآلامهم .

وبين هاتين المسرحيتين يكتب مؤلفنا ثلاثة أعمال أخرى تنزع الى هذا الاتجاه الانساني ، وهي على التوالي : **العلامة المنتظرة** (١٩٥٢) ثم المسرحية المحبوكة المتقنة **الفجر** (١٩٥٣) التي قيل عنها انها نموذج نادر لعمل تتوافر فيه بدقة بالغة شروط الوحدات الثلاث الكلاسيكية ، والطريف في هذه المسرحية ان الزمن فيها يجري على طبيعته فتحكمه ساعة حائط معلقة هي التي تعلن بدقاتها الطبيعية ـ دون أي تدخل من المخرج ـ نهاية الفصلين اللذين تتكون منهما ، وهي تدور حول نزعة اصيلة في المرأة الى التضحية بكل ما تملك بغية الاطمئنان على شيء آخر غير هذه المصالح العاجلة وهو انها كانت موضع حب لاعطف ، وتقدير لا اشفاق ، والجو الذي يهيئه المؤلف لها لايزيد عن كونه جلسة عائلية بسيطة احكمت تدبيرها زوجة رسام ثري كانت تعمل « موديلا » له ثم عشقها واقترن بها دون علم من أهله ، ولكنه قبيل وفاته استشعرت منه جفوة لم تعرف سرها وتوقعت بحدسها الانثوي أن مصدرها كان وشاية من أحد أقاربه الذين استغلوا ماضيها المشبوه ، وكان أول شيء فعلته بعد أن لفظ آخر انفاسه إن استدعت اقاربه واوهمتهم انه مازال على قيد الحياة ،

وأن بوسعها ان تستكتبه وصية بثروته لصالحها ان هم رفضوا الادلاء لها بالسر الذى تبحث عنه . وتتضح فى هذه المسرحية نزعة العنف الرهيبة لدى الانسان الاسباني على وجه الخصوص ، والتي تجعل منه فريدا فى نوعه عندما يتخذ من الموت « لعبته » المفضلة ، وما مصارعة الثيران التي اشتهر بها الا أبرز مظاهر هذه اللعبة واكثرها عريا وتجريدا ، كما ان فرقة « كولومبس » التى استسلمت لامواج المحيط لم تكن قبل ان تصل للعالم الجديد الا مجموعة من الذين يذهبون الى حتفهم بظلفهم ، ويبحثون وراء الافق عن موت شبه محقق فى سبيل وهم خادع ، وكأنهم يهربون من واقعهم القاسي الذى شغل بالغزو طيلة قرون متواصلة . هذه الشخصية الاسبانية الحادة التي توشك ان تخرق الارض بكعوب راقصاتها ، هذه عندما تأخذهن نشوة « الفلامنكو » المتشنجة لاثبات شخصيتها الضائعة الممزقة التي تعرضت لاكبر الانقلابات التي شهدها تاريخ الشعوب فى تحولاتها العقائدية نلمس بعض جوانبها فى مسرحية **الفجر** عندما تجتمع الاسرة على مقربة من فراش موت عزيز لديها ، ثم لا يكون لها هم الا الصراع على الثروة ومن يرثها دون ان تذرف دمعة واحدة ، أو حتى كلمة رثاء لمن لا يزال على تصورهم فى سكرة الموت ، بل نرى ماهو أبعد من ذلك عندما ينتهز أخو المحتضر غفلة من البقية ويدخل على شقيقه ليكتم آخر انفاسه ويضع بهذا حدا للمساومة فيجده قد فارق الحياة ، ويفهم لعبة زوجته ، لكنه يظل فى نظر بنته التي تكتشف ما حدث قاتلا بالنية وان لم يكن قد باشر التنفيذ ، وبالرغم من ان المسرحية توشك ان تخلو من الأحداث ، تتجلى مهارة المؤلف فى محافظته على التوتر وبراعته فى الاثارة وكشفه عن المناطق المظلمة فى نفس هذا الانسان وانانيته الرهيبة .

وتأتي عقب ذلك مسرحية **الاوراق المغطاة** (١٩٥٧) لتحفر بعمق فى نفس هذا الاتجاه اذ تقدم أسرة من الطبقة المتوسطة قامت فيها العلاقات بين الزوجين على اساس من النفاق والمداراة ، وقد نرى فيها اصداء بعيدة لمسرحية ابسن الخالدة **بيت الدمية** على اختلاف المواقف والمرحلة التاريخية التي ينتميان اليها ، الا ان مؤلفنا يحتفظ بأصالته فيما ابدع فيها من رموز خاصة به ، واهمها « غناء الطيور » الذى يلعب دور الموسيقى التصويرية فيتحول من هزيج مرح مفعم بالفرحة ، وروح الربيع فى بداية الاحداث الى صراخ خريفي يائس فى نهايتها ، ثم ما يقدمه من نماذج انسانية تظل عالقة بذاكرتك سنوات طويلة بعد قراءتها لتميزها بالصبغة المحلية الواضحة ، وتفردها بهذا الطابع الاسباني الذى لاتخطئه العين البصيرة متي تدربت على رؤيته ، وسبرت مافي أغوارة من ثراء نفسي مذهل ، وقلق روحي عظيم .

أما الحلقة الرابعة التي تدور عن الحلم فى صلته بالواقع وتمثيله للحقيقة فينهل فيها « بويرو » من منبع دافق ثر يرتبط بأقدم تيارات الادب الاسباني وأكثرها اصالة وقوة ، ويكفي انه يقترن فى هذا المجال باكبر اسمين شهدهما الادب الاسباني فى عصره الذهبي : وهما سرفانتس مؤلف **دون كيخوته** وكالدرون دى لاباركا صاحب القمة العالمية التي سنقدمها قريبا لقراء هذه السلسلة وهي **الحياة حلم** ، ولكن « بويرو باييخو » عندما يندمج فى هذا التيار لا يتلفع برداء قديم بل يصدر عن ضرورات حيوية وفنية معاصرة ، فهو يعيد صياغة أسطورة « بينيلوبى » اليونانية

القديمة فى مسرحيته **غازلة الاحلام** (١٩٥٢) لا اجترارا للبطولات الاغريقية ، وانما تمثلا لموقف الزوجات اللائى يتحملن مأساة غياب ازواجهن فى الحرب ، ثم يكون عليهن أن يصبحن أساطير حية لعذاب محقق ووفاء مزعوم وأن تتوقف بالنسبة لهن عجلة الزمن حتى يعود هؤلاء الازواج ، أما ما يعتمل فى نفوسهن وما يكون شخصياتهن ويصنع احلامهن فهو شيء يظل مستترا دفينا فى اعماق الزمان ، وهذا ما يتعرض مؤلفنا لاعادة غزله ، احلام بينيلوبى فى غيبة عوليس ، وزيف التاريخ وقسوته وخضوعه لمنطق الاقوى الذى يصوغه ، لا كما حدث بالفعل ، وانما كما يملى عليه هواه .

وفى نفس هذا الخط نجد **شبه حكاية خرافية** (١٩٥٣) تتناول مشكلة ازدواج الشخصية وقضية الجمال والقبح ، وفى **ايرينى او الكنز** (١٩٥٤) يمس برقة المنطقة الفاصلة بين الوهم والحقيقة فى نفس بائسة معذبة حرمت من طفلها الصغير فاستعاضت منه واحدا من أبناء « الجان » الذين يسميهم علماء الطب الرؤى التي يخلقها المرضى النفسيون ، وفى **مغامرة فيما هو رمادى** (١٩٦٣) يرتبط الحلم بمناخ سياسي مغبر يشتد فيه النقد للطغيان وأساليبه ، ويعظم استخدامه لنظريات « فرويد » دون ان تفقد حيله المسرحية قدرتها على بناء مواقف ذكية واعطاء دلالات ورموز انسانية رحبة .

ثم يقدم فى **أسطورة ، كتاب للأوبرا** (١٩٦٨) صيغة حديثة لدون كيخوته فى العصر الحاضر الذى لايتصور طواحين الهواء عماليق ، وانما ينتظر من الاطباق الطائرة وسكان المريخ ان يخلصوا الارض مما تراكم عليها من طبقات الظلم والشقاء ، كل هذا فى لغة شعرية عذبة مفعمة بأصدق العواطف الانسانية وانبلها فى البحث عن مستقبل أفضل تستحيل فيه الاحلام الى واقع ينعم فيه الناس بالحب والرخاء .

القصة المزدوجة للدكتور بالى :

تقع هذه المسرحية ــ كما سبق ان أشرنا ــ ضمن دائرة الاعمال التي تعتبر وثائق اجتماعية تشهد على أحداث هذا العصر ، وهي وان كانت تجنح الى جنس المسرح السياسي الذى يناقش بصفة مباشرة الحياة العامة وظروفها ، ويخضعها لنوع من النقد العنيف الا انها نموذج ناضيج للعمل الذى تنمو به قدرة الانسان على تأمل مصيره ، وتثرى به رؤيته للحياة ومسئوليته فى تغييرها . فهي أولا مسرحية تلتزم بقضية محددة ، هي حق الانسان فى ممارسة حريته الفردية والاجتماعية دون ضغط او ارهاب ، وهو حق مازالت تنتقص منه وتطغى عليه المجتمعات على اختلاف اشكالها و « أيديولوجياتها » . ولست أرى مبررا لتلخيص احداث المسرحية وافساد متعة القارىء بها ولذته فى متابعتها بشوق وفضول هما بعض مظاهر التذوق الفني الذى لا يقتصر على الاعمال البوليسية وحدها وانما نجده فى الاعمال الرفيعة أيضا .

بيد أنه يعنينى هنا ان أشير الى بعض الظواهر التي تتصل بأسلوب الاداء الذى اتبعه المؤلف وطريقة التكوين الفني للمسرحية ، فمنذ كتب **الكوة** ونحن نلاحظ انه لم يكف عن تجريب اشكال جديدة فى الصياغة المسرحية يطور فيها الاطار التقليدى للواقعية الجديدة ،ويبحث عن امكانيات اخرى فى استغلال الابعاد الزمانية والمساحات

المكانية . ولا شك ان الترجمة التي قام بها « بويرو باييخو » لمسرحية بريشت **الام الشجاعة** سنة ١٩٦٦ قد أتاحت له فرصة معايشة صاحب نظرية المسرح الملحمي مما كان له أثر واضح فى هذه النزعة التجريبية ، ولكنه لايفسر على الاطلاق طبيعة الحلول التي اهتدى هو اليها بمجهوده الشخصي ، فتأثير بريشت عليه لايتجاوز حد الالهام والايحاء الذى ينطلق بعده مؤلفنا بحثا عن صيغه الخاصة ، وهو هنا يجرب صيغة قصصية خطيرة لم يكن ليجرؤ عليها لولا انه اصبح فى قمة نضوجه وتمكنه من أساليب فنه . فالدكتور بالي ـ المحلل النفسي ـ يروى قطعا من أحداث مرت به في مذكرات يمليها على سكرتيرته ، والمؤلف « يخرج » هذه الاحداث على طريقته موزعا الادوار بين الدكتور والابطال ، ومسلطا الضوء على الجزء الذى يعنيه من المسرح وتاركا للدكتور حق التعليق دون كسر الوهم المسرحى أو تبخير واقعيته ، ثم هو لا يكتفى بالدكتور ليقوم بدور « الكورس » اليونانى القديم وانما يدخل اثنين من مرضاه ـ يرمزان للمجتمع الذى يدافع عن نفسه بالخداع والتجاهل ـ كى ينصحا الجمهور بأن لا يصدق ما يقال له فهو كذب أو مبالغة على أحسن الفروض .

وتقسيم المسرح الى ثلاثة مستويات متعاصرة ومتجاورة ومتراكبة من ركن صغير يمثل عيادة الدكتور ، الى منزل الاسرة البائسة ، ومكتب الامن العتيد يعتبر من أحسن الحلول المسرحية التى عثر عليها « بويرو باييخو » فى هذا العمل ، اذ أنه قد أتاح له عند توزيع المناظر بين هذه الاماكن فى مهارة « المايسترو » أن يتمثل التناقض الانسانى بينها والتكامل الوظيفى فيها .

أما بالنسبة للمدلول الاجتماعى الذى يرمى اليه المؤلف فهو يذهب الى أبعد من مجرد ادانة أعمال التعذيب السياسي ، انه يقدمها في جذورها التاريخية العميقة ، ويدرس أسبابها النفسية لدى من يقومون بها ، ويستنفد كل ما يمكن أن يقال في الدفاع عنها وتبريرها ، ثم تكون النتيجة الرهيبة التى ينتهى اليها أنها بالاضافة الى كونها تشويهات اجتماعية ونفسية شائنة ، فهى لا تقضى فقط على ضحاياها وانما على جلاديها كذلك ، وهى بهذا سلاح ذو حدين يجتث احدهما اللحم البشرى الذى يقع عليه بينما يقطع اليد التى تمسك به ، وهو يصل الى هذه النتيجة بوسائل درامية بحتة ابعد ما تكون عن الخطابية أو النزعات الاخلاقية الجوفاء ، اذ يدير أحداثه فى مناخ عائلى حميم ويستخدم حيلة نفسية معقدة ، هى عملية الاسقاط التى توقع البطل فى مأزق لا منفذ منه عندما يصاب بالعجز الجنسي كنوع من عقاب النفس على ما فعله فى أحد ضحاياه ، ثم يعقب هذا تخلخل شخصي لا يصاب هو به فقط ، وانما تصاب به كذلك زوجته التى ينجح المؤلف في رسم شخصيتها بلمسات ماهرة تجعلنا نتذكر قدراته كرسام تشكيلى ممتاز ، ثم تكون النهاية دوامة مأساوية تقع فيها الثمار التى احترقت بنار أوضاع خاطئة مدانة .

ونحن اذ نقدمها للقارىء العربى نرجو أن يتجاوز الهيكل الظاهرى للاحداث وأن يعايشها في أعمق تحولاتها النفسية وازخر دلالاتها الاجتماعية ، كدرس مسرحى أصيل يقودنا الى النضج الشخصى والسياسى معا ، ويفتح عيوننا على تجارب هامة تستحق أن يستلهمها أدباؤنا فى التعبير الفنى عن المرحلة الحضارية التى نمر بها .

القصة المزدوجة للدكتور بالمي

تأليف : انطونيو بويرو بابييخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

العنوان الأصلي للمسرحية

VOLUME I NUMBER 2
AUTUMN 1967

ARTES HISPANICAS
HISPANIC ARTS

THE
LA
DOUBLE
DOBLE
CASE HISTORY
HISTORIA
OF
DEL
DOCTOR
DOCTOR
VALMY
VALMY

BY
ANTONIO
BUERO
VALLEJO
TRANSLATED
BY
FARRIS
ANDERSON

وصف المنظر

البناء بسيط للغاية ، بلا سقف وعلى مستويين فوق عمق محايد . المستوى الاول عبارة عن منصة بزاوية قائمة قرب فتحة المسرح تستغرق الجانب الايسر منه ، وتمتد الى ثلثى عرض خشبة المسرح تقريبا . يقوم عليها منزل عائلة بارنيس ، لا يوجد الا حائط واحد كامل فى الجانب الايسر ، به باب تغطيه الستائر وبعض الكراسي على جانبية . الجدار الداخلى ــ المواجه للمشاهد ــ له نفس ارتفاع الحائط فى الجزء الذى يليه فقط . من الشمال لليمين نرى مدفأة مثبتة بالجدار علقت فوقها لوحة مصورة من الرسم الحديث ، وباب آخر تغطيه الستائر ، يليه مصباح على قاعدة طويلة وأريكة ملتصقة بالحائط . عند منتصف الاريكة لا نتمكن من رؤية الحائط لانه يتلاشي فى خط متعرج قرب الباب حتى يصل الى وسطها ثم يستمر خلفها نحو اليمين مكونا قطاعا لا يزيد ارتفاعه على متر واحد ينتهى عند الزاوية اليمنى الخارجية للمنصة .

بجوار الاريكة وحتى هذه الزاوية يقوم دولاب كتب منخفض يشغل بالضبط هذا القطاع ويبدو في وسطه باب صغير لقسم منه خاص بالمشروبات . أمام الأريكة منضدة زجاجية منخفضة فوقها اناء زهور فارغ .

قرب الزاوية اليمنى السابقة للمنصة يوجد مقعد كبير بمساند ، على يساره

منضدة فوقها جهاز تليفون ، وسط الحجرة نرى سرير اطفال من البرنز يدور على عجلات متحركة وبجانبه ــ الآن ــ أحد الكراسي التى يجب أن تكون بجوار الحائط على اليسار .

يمثل المستوى التالى مكتبا عاما ، ويقوم على ارتفاع هذا القطاع من الجدار الذى يغطيه دولاب الكتب ويتكيء عليه فى منزل عائلة بارنيس . يرسم شكل لام (L) عريضة يبدأ مصراعها الأولحيث ينتهى تلاشى الجدار الداخلى ــ المواجه للمشاهد ــ فى المنزل المذكور ، ويمتد الى نهاية خشبة المسرح من اليمين ، أما مصراعها الثانى فيتقدم من هناك نحو فوهة المسرح وينتهى تقريبا فوق منتصف الحافة اليمنى للمنصة الأولى ، وعلى نفس ارتفاع المكتبة يقوم حائط يحددها مواجهة .

ويمكن الصعود لهذا المكتب العام من مكانين ، أحدهما يقع على اليسار حيث لا يوجد جدار وذلك بسلم غير مرئى يفضي الى حافة الجدار الداخلى للحجرة الاولى، أما المدخل الثانى فهو عبارة عن سلم متنقل مثبت بين الحافة اليمنى للمنصة السفلى والجزء البارز من العليا ، وبالتالى فهو يقوم من نفس الخط الاسفل للحائط المحدد بالمواجهة حتى يصل الى ارتفاعه ثم يتلاشي عند المنصة العليا بجانب المكتبة .

المثلث الذى يتشكل على يسار السلم يمثل زاوية منفرجة مع المكتبة وهو جزء من جدار عائلة بارنيس، والجزء القائم على يمين السلم يرسم بدوره شكل جدار مثلث مكونا قطعة من الحائط الذى يعتمد عليه نفس هذا السلم .

المكتب العام مخطط بعناية ، جداره الداخلى ـ المواجه للمشاهد ـ به باب قرب الجانب الأيمن، ومثلما رأينا في حجرة عائلة بارنيس ـ وان كان ذلك في اتجاه عكسى ـ ينهض خط متعرج من الزاوية العليا على يسار المنصة ممثلا قطاعا افقيا قصيرا للجدار، ثم يعود ليصعد حتى يصل الى قمة ارتفاعه ابتداء من منتصف الحجرة حتى الزاوية العليا من الناحية اليمنى . وكذلك فجدار الجانب الايمن من المسرح غير كامل ، فقرب الزاوية المذكورة يتلاشي في خط متعرج ممتد حتى الزاوية الداخلية اليمنى للارضية . وفى وسط حرف اللام (L) وبانحراف مائل توجد منضدة مكتب عليها حوافظ واوراق «وتليفون» متعدد الخطوط، وخلفها مقعد كبير، كما ان على يسارها كرسيا، وعند الجدار الداخلى المواجه للمشاهد « كنبة » متداعية على يسارها مشجب ، وفى الركن منضدة عليها آلة كاتبة وخلفها كرسي .

كل هذا يكوِّن حجرتين متصلتين على ارتفاع مختلف ، وبالرغم من أنهما متجاورتان في المكان على المسرح الا أن لكل منهما مناخا متميزا ، فالمظهر العام للحجرة الأولى أنيق ولطيف ، أما الثانية فهى باردة ولا طابع لها :

حافة المسرح عريضة من الجانبين ، تسمح للممثلين بحرية الحركة فى الدخول والخروج ، وعلى الجانب الايسر منها ـ أمام منزل عائلة بارنيس ـ يقوم مقعد حجرى من النوع المثبت في الحدائق العامة .

وفى الفراغ ذى الزاوية القائمة الذى تتركه المنصتان على حافة المسرح اليمنى مقعد كبير بمسندين طويلين ، وعلى يساره كرسي . وهذا هو ركن الاستشارات للدكتور بالمى .

شخصيات المسرحية

رجل يرتدى سترة السهرة	Senor de Smoking
سيدة تلبس ملابس السهرة	Senora en Traje de Noche
سكرتيرة	Secretaria
الدكتور بالمى	Doctor Valmy
مارى بارنيس	Mary Barnes
الجـــدة	Abuela
دانييل بارنيس	Daniel Barnes
مارســان	Marsan
باولوس	Paulus
بوثنـير	Pozner
لويخـى	Luigi
أنيبال مارتى	Anibal Marty
لوثيلا مارتى	Lucila Marty
الممرض ((لا يتكلم))	Enfermero (no habla)

تدور أحداث هذه المسرحية فى سوريليا وهى بلد بعيد فى عصرنا الحاضر ، اليمين والشمال بالنسبة للمشاهد .

الفصـــل الأولـــ

(تنبعث موسيقى مرتجفة لرقصة «التويست» من « بيانو » غير منظور . الستار لا يرفع ، تبدو من الناحية اليسرى سيدة ترتدى ملابس سهرة أنيقة وتتحلى بأثمن المجوهرات . وعلى الفور يبدو من الناحية اليمنى رجل يرتدى سترة السهرة الرسمية « سموكنج » . السيدة شقراء وما زالت في ريعان الشباب ، أما الرجل فذو مظهر أنيق ، يبتسمان ثم يبدآن في الحديث بثقة ولطف ، تخفت الموسيقى قليـــلا)

الرجـــل : سيداتى

السيـــدة : سادتى

الرجـــل : اصدقاءنا الاعزاء

السيـــدة : نحن نعرف القصة التى سيحكونها لكم

الرجـــل : حكوها لنا من قبل

السيـــدة : وهى زائفة

الرجـــل : زائفة ، أو على الأقل مبالغ فيها إلى حد كبير

السيـــدة : وأنتم لم تجتمعوا ها هنا كى تصدقوا أىشىء ، بل جئتم لتمضية وقت لطيف .

الرجـــل : وأنتم تعرفون الوسيلة الناجحة ، وهى الاستمتاع بما يحكى دون الاعتقاد في صحته ، نريد أن نذكركم

بذلك لأنه دائما يوجد بعض السذج ممن يصدقون كل ما يقال لهم من هراء .

السـيدة : أو بعض الاشخاص ممن لا زالت لديهم هواية — « الميلودراما »

(يرفع الستار في ضوء خافت ، على المقعد ذى المساند الطويلة . يستريح الدكتور بالمى مستغرقا في التفكير ، تجلس « سكرتيرته » على الكرسى المجاور له وبيدها قلم وكراسة وهى تنظر اليه بترقب . في سرير الاطفال الموجود في منزل عائلة بارنيس يرقد طفل لا يتجاوز عمره عدة شهور وقد جلست إلى جواره الجدة ترعاه) .

الرجـل : فلو كان بينكم بعض هؤلاء الأشخاص فنحن نكرر لهم شيئا معروفا ، كل من يحكى قصة يزيد عليها .

السيـدة : ويقر بها ، كأنها وقعت دائما إلى جانبنا .

الرجـل : وهذا ما يجب علينا ايضا أن نوضحه ، فلو كان قد حدث شيء من هذا فليس بيننا ، هذه الاشياء ربما تحدث — لو كان ذلك حقيقة — في بلاد بعيدة . ما زالت في مرحلة همجية .

السـيدة : في بلد بعيد

الرجـل : اذن . . لتظلوا هادئين ، فالقصة — مع احتمال انها زائفة — قد وصلتنا عن بلاد بعيدة ، ولا تمسنا في قليل أو كثير .

السيـدة : ولا تفقدوا ابتسامتكم على وجه الخصوص ، فالعلم ما زال مليئا بالاحزان والمصائب ، لكن هذا هو بالضبط الثمن الذى ندفعه لنتعلم الابتسام .

الرجـــل : ان البسمة هى اجمل ما اكتشفته البشرية ، فلا تفقدوها .

السيـــدة : لا تفقدوها مطلقا .

(أخذ الرجل يقترب من المرأة خلال المنظر السابق)

الرجـــل : والآن . . . تستطيعون السماع .

(ينحى الاثنان برفق ثم يتأبط الرجل ذراع السيدة ويخرجان من ناحية اليسار . تستمر الموسيقى المنبثقة من « البيانو » بدون انقطاع ولكنها تتحول من موسيقى رقصة « التويست » إلى مقطوعة « شوبان » « ليالى المنخفض الأكبر « . يتزايـــد الضوء على الدكتور و « سكرتيرته »،الدكتور بالمى يرتدى حلة بسيطة ومعتدلة ، يناهز الأربعين من عمره ، وان كان يبدو مرهقا ، أما السكرتيرة فهى ذات مظهر حسن وليست أصغر منه بكثير) .

السكرتيرة : تريد أن نترك هذا الآن يادكتور ؟

الدكتـــور : لا . كنت أتذكر ، هل يمكنك أن تعيدى القراءة ؟

السكرتيرة : (محاولة فك رموزها « انتهت القصة الأولى .

الدكتـــور : شكرا . (يملى) انتهت القصة الأولى ، فلننتقل اذن إلى الثانية ، لكن قبل ذلك ، (يصمت مفكرا ثم ينهض) قبل ذلك اسمحوا لى بملاحظة (يتقدم خطوات ثم يتوقف) فعندما نقرر نشر تاريخ الحالات المرضية كل الاطباء يفضلون حكاية الحالات التى تنتهى نهاية سعيدة ، مثلهم في ذلك مثل كتاب القصة الضعفاء ، لكن هؤلاء الذين يضعون موضع الشك مهارتهم المهنية ربما كانوا أكثر نموذجية . . . (ينظر إلى السكرتيرة).

السكرتيرة : نموذجيـــة .

الدكتـــور : نحن مثل المرضى نريد أن ننسى اخطاءنا ، لكنهم يوما ما يهرعون إلى استشارتنا ، ونحن — ذات يوم أيضا — ننشـــر حصيلـــة ذلك في كتاب ، عـــلى أننـــا لسنا كما يقال قساة لا نعبأ بعذاب الناس . . فذكرى التعساء من هؤلا ء الذين لم نستطع أن نمنحهم الشفاء تطاردنا طيلة حياتنا ، وحتى هذا الطبيب الذى يحظى بنعمة النسيان تظل تطارده الذكرى بطريقة مختلفة ، لكنها تطارده .

السكرتيرة : تطـــارده .

الدكتـــور : هذه الكتب هى بمثابة اعترافاتنا . . ويجب عليّ أن أقرر أنه . . . في هذه القصة الثانية . . لا أظن انني تصرفت كما ينبغي ، فعلى الطبيب ان يحتفظ أمام المريض بشعوره الشخصي بالنفور منه ، وهذا ما لم أستطع مداراتـــه بالحكمة اللازمة ، ولو كنت قد اقترفت اثما فللقارئ أن يحكم عليّ . (صمت)

السكرتيرة : . . يحكم عليّ .

الدكتـــور : وعموما ، فالانسان في معظم أحواله سوقي ، وهـــذا ما يسمح لنا بالحصول على بعض النجاح المتواضـــع ، فالمواقف التى تنتهى بالناس الى المرض لا تتجاوز عـــادة اقدارهم . لكن . . . ماذا يحدث اذا واجه انسان عادى موقفا فـــذا ؟

لقد كان مريضى رجلا سوقيا .

السكرتيرة : رجلا سوقيا .

الدكتـــور : ولم يكن كذلك لفقدانه الحساسية ، ولكن لأنه لم يكـــن شجاعا ، ولا أستطيع أن اتفادى ما يخامرنى من الشك في قدرة الرجال الذين يوجدون في مثل موقفه على التحلى بالشجاعة ، فلا ريب ان هذا نادر وانا نفسى لم أكـــن استطيع . .

السكرتيرة : لم أكن أستطيع .

الدكتـــور : (يتنهد) كان قدمر عليّ وقت طويل وأنا مستقـــر في عاصمة سوريليا ، وكان « دال باء » يعيش على مقربة من عيادتى .

السكرتيرة : لا مواخذه ! ماذا قلت ؟

الدكتـــور : دال باء . د نقطة ، ب نقطة .

السكرتيرة : آه ! عفـــوا .

الدكتـــور : كان رجلا لطيفا ذا طبيعة منفتحة للوهلة الأولى ، على عكس المرضى ، بعض الناس كانوا يقولون إنه مندوب تجارى ، وبعضهم الآخر يزعم أنه يعمل في احــــدى الوزارات ، وزوجته التى لم تعد شابة صغيرة كانت تحبه لدرجة العبادة .

(أخذ يقترب من الجانب الأيسر حتى جلس على المقعد الحجرى الذى سلط عليه الضوء الآن) .

كنت أعرفها منذ عامين ، قبل أن تتزوج ، فقد عالجتها من بعض الأزمات العصبية التى ألمت بها ، وقدتخلصت منها بسهولة بفضل بعض الأدوية وبفضل الزواج . . . وبعد أن تزوجت كنت أقابلها من حين لآخر امـــا في

الشارع ، أو عندما تعبر الحديقة القريبة .

(تدخل من اليمين مارى بارنيس ، تعبر المكان باسمة ثم تتوقف امام الدكتور ، وهى امرأة نحيفة القـــوام وناضجة التكوين وجذابة الخلقة ، وتتسم في لبسهـا بالأناقة والبساطة معا . بيدها حقيبة وبعض الزهـور . السكرتيرة تستمر في الكتابة) .

مـارى : صباح الخير ، دكتور .

الدكتـور : صباح النور يا سيدتى . (ينهض ويمـد لها يديه) هل كنت في السوق ؟

مـارى : لا مفر من هذا ، حماتى المسكينة لم تعد صالحة لمتاعـب الشراء ، انظر الى هذه الزهور الجميلة ، أتريد واحدة؟

الدكتـور : انها أبهى وهى في يدك ؟

مـارى : رأيتك من بعيد فقلت لنفسى : هل من الممكن انيكون الدكتور هو الجالس على المقعد الحجرى ؟

الدكتـور : أمكث هنا أحيانا بعض اللحظات ، فالحديقة جميلة

مـارى : لم تفهم مقصدى يا دكتور ، أعنى هذا المقعد بالذات .

الدكتـور : هذا المقعد بالذات ؟

مـارى : (ضاحكة) انها قصة « رومانسية » غريبة ، فقدعرفت زوجى على هذا المقعد .

الدكتـور : أصحيح هذا ؟

مـارى : (برقة) نعم ، تعارفنا هنا . . لكن عد الى الجلوس من فضلك . (تمد له يدها)

الدكتـــور : (وهو يصافحها) لا يمكن (يضحك) لا أجرؤ الآن على انتهاك حرمته . . (بنظرة محترقة) مظهرك الآن في غاية التحسن .

مـــارى : كل شيء على ما يرام .

الدكتـــور : كم يسرنى هذا ، بالرغم من أننى لم أتشرف بمعرفـــة زوجك ، حتى الآن ، أرجو أن تبلغيه تحياتى .

مـــارى : شكرا جزيلا ، سأعرفك به يوما ما . . . اذ أنه دائمـــا مشغول .

الدكتـــور : (ينظر اليها باهتمام) طبعا .

مـــارى : هل تستطيع ان تأتى لتتعشى معنا ذات ليلة ؟

الدكتـــور : هذا لطف بالغ يا سيدتى .

مـــارى : سأحدثك بالتليفون لأحدد معك موعد الدعـــوة

الدكتـــور : اتفقنا اذن .

مـــارى : الى اللقاء يا دكتور .

الدكتور : مع السلامة يا سيدتى .

(مارى بارنيس تخرج من الناحية اليسرى والدكتـــور يتابعها بنظراته) انها عطوف ولكنها متباعدة ، لم تحدثنى في التليفون على الاطلاق ، في حقيقة الأمر كانـــت لا تزال شخصا عصبيا ، كان لديها طفل ذو شهـــور قلائل ، حماتها كانت عجوزا شبه صماء لم تبادلـــنى الحديث في أى مناسبة . يتساقط الضوء على البقعـــة التى يوجد فيها سرير الطفل وبجواره الجدة ، تتحول الموسيقى

المنبعثة من « البيانو » لتؤدى دون انقطاع مقطوعـــة « أغنية المهد » للموسيقار « برامز » الدكتور بالمـــى ينفث بعض الزفرات ويأخذ في الاقتراب من الجانــب الأيمـــن) .

نحن الأطباء النفسيين نعرف جيدا ان كل تاريـــخ بشرى – مهما كان كريها – يريد أن يكون قصة حب وجمال . وهذه القصة الثانية تريد بدورها ان تكـــون كذلك . ولهذا أعتقد انه بدلا من أن أحكم عليهـــا بالصمت ربما كان من الافضل ان اكشف عما ينبض في أعماقها – ولو مقنعـــا – من الحب والجمال اللذين نبحث جميعا عنهما .

(ينظر الدكتور الى الجدة بالحاح لكنها لا تجيب ، يحنى هامته ويخرج من اليمين ، كذلك تنهض السكرتـــيرة وتخرج في أعقابه ، الجدة تتحدث بينما تنساب موسيقى أغنية المهـــد) .

الجـــدة : أهلا بالشاطر ! . . تعرف الآن جدتك . . هيـــه ؟ أو أنك تطلب منى الحكايات ؟ اضحك . . اضحك . . أبوك أيضا كان يطلق الضحكات لأحكى له الأقاصيص وكان يفهمها مثلك . . لا شك أنك تفهمها ، أنا أعرف هذا جيدا ، اذن فلتسمع : كان « يا ما كان » . . في قديم الزمان . . طفل صغير ، اجمل من الشمس . اسمه دانييليتو (تضحك) ها أنت تعرف اسمك يا ماكر ، لم أكن اقصدك يا « عبيط » ، فهذه هى الحكايـــة التى كنت أقصها على أبيك (تتنهد وقد تغيرت نبرة صوتها)

آه ! يا الهى ! . . . اسمع يا سيدى : كان لدانييليتو أم تعبده ، حسنا ! وجدة . . وكانت أمه تقول : دانييليتو سيكبر ويشتد عوده ويصبح مثل « القبطان ». . أما هو فكان يبتسم . . ولما كان في غاية الجمال فان كل البنات سيصبحن مجنونات به . . . ودانييليتو يبتسم ، ولما كان في غاية الطيبة فان جميع الناس يريدون أن يكسبوا صداقته . . . (تتنهد) آه ! يا الهى ! ولما كان في غاية البراعة فعندما ينمو شاربه سيكون فرصة أمه العجوز ، ويسافران معا لزيارة كل بلاد الله الجميلة ، ويستقبلهم الناس بالهتاف : عاش دانييليتو العظيم . . . أما هو فيبتسم . . . (يصمت البيانو وترفع الجدةرأسها) أعتقد أنى سمعت الباب ، (تنهض ، تبدو مارى الى الخلف وبيدها الحقيبة والزهور وصحيفة مطوية) .

مارى : (تكلمها بصوت مرتفع جدا) أهلا بالجدة . تريدين الصحيفة ؟

الجدة : طيب .

(تأخذها وتبحث في جيوبها عن المنظار ، مارى تضع الزهور في انائها على المنضدة ثم تترك الحقيبة على الكرسى المجاور لسرير الطفل) .

مارى : هل عذبك الولد ؟

الجدة : ما هذا ؟ لم يصح من نومه الا منذ لحظات (تذهب للجلوس على المقعد المجاور للتليفون وتضع النظارة على عينيها)

مارى : (مداعبة الطفل) ماذا تقول يا « كتكوتى » ؟ . فرحان

لأن أمك عادت ؟ نعم ! . هيا نرى كيف حال مؤخرتك يا خنزير فأنت مثل نافورة الميدان) تدخل يدها تحت لفائفه وتتحسس بينما تنظر اليها الجدة

الجدة : غيرت له الآن . (تواصل القراءة)

ماری : يا سلام على جدتك ، هيه . . كتكوت ؟ تعمل كل هذا لانه يسعدها رؤية اشيائك . ولا تظن أنني الأخرى أستطيع ان أظل بدون رؤيتها قبل الاكل ، لا يهمك (تنظر الى ساعتها) حالما تأخذ البزازة ستفتح الصنبور (تعتدل) هل تكلم دانييل في التليفون يا جدتي ؟

الجدة : هيه ؟

ماری : دانييل تكلم في التليفون ؟

الجدة : لا . . لم يتكلم .

ماری : (للطفل) لا تنظر الىّ هكذا ، فأنا أعرف ماذا تريد (تداعبه بلطف ثم تأخذ حقيبتها لتمضى) .

الجدة : هذه الصحف تزداد سخافة يوما بعد يوم .

ماری : لكن . . جدتي ؟

الجدة : هه ؟

ماری : (تذهب نحوها) لقد جاءت اليوم بأخبار محطة الفضاء التى أطلقناها ، ألم تقرئى الصفحة الأولى ؟

الجدة : أنا دائما أذهب الى الصفحات الأخرى .

ماری : (تهز رأسها باسمة) سأذهب لاعداد رضعة الطفل (تمضى نحو اليسار) .

الجـــدة : (بضيق) عادوا مرة أخرى لتغيير برامـــج التليفزيون هذه الليلة لن يعرضوا « الحى الشرقي »

مـــارى : (تتوقف وتبتسم) أنا آسفة من أجلك .

الجـــدة : (تترك الصحيفة على المنضدة ثم تقوم وهى تخلع منظارها) ألم تأت ساعة الرضعة ؟

(تذهب نحو الكرسى المجاور لسرير الطفل وتحمله الى ركنه) .

مـــارى : قلت لك الآن انى ذاهبة لاعدادها ، لماذا لا تضعين جهاز السمع ؟

الجـــدة : أنا أسمع جيدا .

مـــارى : (مبتسمة) لست اليوم على ما يرام (تتأهب للخروج)

الجـــدة : (تخطو في اتجاهها خطوتين) متى تنتهى اجازتك ؟

مـــارى : ألا تعرفين انها لاجل غير مسمى ؟

الجـــدة : ألا تفكرين في العودة لمدرستك ؟

مـــارى : (بصوت منخفض) تريدين أن أذهب ، أليس كذلك؟

الجـــدة : ماذا ؟ أقول لك هـــذا لانك محتاجة للعمل الذى يشغلك ويلهيك ، فأنت تقريبا لا تخرجين وأنا الآن أصبحت عجوزا .

مـــارى : (باسمة وبصوت منخفض) إنك تحبين أن تظـــلى وحـــدك مـــع ابنك وحفيدك ، هـــذه ياجدتى ؟ لكنى لا أكون أى حقد (تحاول الجدة السماع فتتقدم نحوها خطوة)

الجـــدة : (مغيظة) يمكنك الكلام بصوت أعلى !

مـــارى : (تذهب نحوها) كنت أقول لك إننى مبسوطة جدا هكذا . (تقبلها)

الجـــدة : (بجفاف) هيا الى المطبخ ، علينا تهوية محتوياته .

مـــارى : (ضاحكة) والرضعة ؟ (تمسكها من ذراعها ويمضيان الى اليسار)

الجـــدة : (توقفها) اسمعى . . ودانييل ؟ هل هو مبسوط ؟

مـــارى : (بجد) لماذا هذا السؤال ؟

الجـــدة : أنتما دائما تتهامسان .

مـــارى : (مضطربة) انه متعب ، لديهم الآن عمل كثير.

الجـــدة : (مفكرة) لقد أصبح غريب الاطوار .

مـــارى : (بدون أن تنظر اليها) بل هى خيالاتك (تسحبها من ذراعها ثم تتوقف ويشرق وجهها) اسمعى !

الجـــدة : هل نادى أحد ؟

مـــارى : (تعطيها الحقيبة) لقد سمعت صوت المفتاح . (تذهب مسرعة نحو الخلف في الوقت الذى يظهر فيه دانييل وهو رجل ذو مظهر حسن وطابع رياضى فترتمى فى ذراعيه) .

دانييل : أهلا صغيرتى (يتبادلان قبلة)

مـــارى : ستبقى للغذاء ؟

دانييل : الا إذا استدعونى .

مـــارى : يا للفرحة (تعود لتقبيله)

الجـــدة : (متمتمة) هاهما كالعادة !

دانييل : أهلا أمى (يذهب نحوها ومارى تتبعه وهى متعلقةبذراعه)

الجـــدة : أهلا بك يا بنى (يقبل كل منهما الآخر)

مـــارى : هل تريد حلوى منزلية ، عندنا كفاية من البيض .

دانييل : فكرة طيبة . والكتكوت ؟ (يذهب نحو سرير الطفل تتبعه زوجته)

مـــارى : أصبح مثل القمر ، انظر من الذى جـــاء يا كتكوت (يقفان على جانبي السرير)

دانييل : أهلا بالقط الصغير (ينحنى ويقبل الطفل) أرنى ضحكتك ، هيا . . . هكذا (يضحك الزوجان ، وتقترب الجدة باسمة وهى تشعر بأنها مهملة قليـــلا) السيد باولوسى يسلم عليك كثيرا يا أماه (يذهب نحو المكتبة ومارى من خلفه) .

الجـــدة : انه دائما من أهل الواجب .

دانييل : نعم فهو لا ينسى أبدا .
ان يحملنى لك السلام (يخـــرج مسدسا من جرابـــه كان يحتفظ به في جيبـــه الداخلى ثم يتأكد من صمام الأمان ويضعه فوق المكتبة) منذ كم سنة وانت لاترينه؟

الجـــدة : عندما يكبر الطفل أظن انك ستبحث عن مكان آخر لهذا السلاح .

دانييل : طبعا يا أمى .

مـــارى : (وهى تحيـــط خصره بذراعها) ألا تعتقـــد أن السيد باولوس لابد وأنه كان حبيبا قديما لأمك ؟

دانييل : (يضع يده على كتفها) من ذا يعرف ؟ لكنه كما تقول هى « أهل واجب » (يذهب نحو سرير الطفل) صورة

مجسمة للواجب واللياقة . . . .أف ! ! (« يفرقع » بأصابعه لابنه الصغير) كيف حالك يا ظريف ؟ (يضحك تعود مارى لتتعلق بذراعه)

الجـــدة : هل ستبقى للغذاء ؟

دانييل : (يهز رأسه بالإيجاب) نعم ، اليوم لدى حظ ! ! (يذهب نحو المقعد ويجلس على مسنده ناشرا الصحيفة) لعلك قرأت الخبر العظيم ، هه ؟

مـــارى : (وهى تقترب منه) هذا رائع !

دانييل : هذه الاشياء ترفع من روحنا المعنوية ، فعملنا يساهم بدوره في هذه الانتصارات .

مـــارى : هل تشعر حقيقة . . . بارتفاع روحك المعنوية ؟

دانييل : (ينظر الى عينيها) أعتقد ذلك .

الجـــدة : (دون أن تكف عن النظر اليهما) سأذهب لاعداد الرضعة (تشق طريقها نحو اليسار وبيدها الحقيبة)

مـــارى : (بسرعة) إنها تشعر بالغيرة ، قل لها شيئا .

دانييل : هل سأل أحد عنى يا أماه ؟ (يذهب نحوها)

الجـــدة : جاء صبى يركب دراجة للسؤال عن مقالك .

دانييل : (يلوى لسانه بضيق) ليس لدى وقت لكتابة أى شيء .

الجـــدة : لقد قلت له انك ستخبرهم .

دانييل : (وهو يداعبها) حسنا فعلت .

الجـــدة : دعنى (الطفل لا يستطيع الانتظار) تخرج من ناحيـــة الشمال) .

مـــارى : هى تلومنى لا نى لم أذهب أنا ، لكننى أريد أن احدثك عنها ، أتعرف ؟ تقول بانها تشعر أن أطوارك غريبةهذه الأيام .

(ينظر إليها مليا ، ثم يذهب ببطء إلى المقعد المجـــاور للتليفون) انها أذكى مما تبدو .

دانييل : لا تظنى ذلك ، فهى دائما معلقة بى ، بسبب وبدون سبب (تصدر عنه زفرة حارة ثم يجلس) .

مـــارى : (تقترب وتجلس على مساند مقعدة) حقيقة . . . تشعر بانك أحسن ؟ (تداعبه في عنقـــه) .

دانييل : (يغمض عينيه) لا أعرف ء

مـــارى : لقد قلت هذا لتوك .

دانييل : كى تنفرج أسايرنا أمامها . . أو ربما . . . لكى أعتقد أنا نفسى في ذلك .

(لحظة صمت قصيرة ، تعود الجدة للظهور من اليسار وبيدها « شبشب »)

الجـــدة : (متقدمة نحوه) اذا كنت ستبقى ، فاخلع حذاءك .

مـــارى : (بصوت منخفض) وضعت جهاز السمع .

(وفعلا نرى ان الجدة قد وضعت الآن مكبر صـــوت صغير في أذنيها ، دانييل يخلع حذاءه) .

الجـــدة : (وهى أمامه) وجهك منقبض ، هل عندك صداع ؟

دانييل : لا ، ابدا ، (يحاول الابتسام) انا بحالة جيدة (يضـــع

الخف في رجليه ، وتأخذ الجدة الحذاء ثم تذهب نحو سرير الطفل وتبدأ في رفعه) .

الجدة : هيا للرضعة دانييليتو ، فنحن هنا لا داعى لوجودنا (تترنم)

تناول قرص فينوس
واضحك من ألم الرءوس

دانييل : (الذى يتبادل مع زوجته النظرات) ماذا تغنين يا أمى ؟

الجدة : هه ؟ لا شيء (تستمر في الترنم وهى تدفع أمامها سرير الطفل ذا العجلات)

ما أسعد الدنيا ، فينوس قد وصل
كالسحر اذ جاء بالسعد والأمل

مارى : انها دعايات الأدوية المقوية في التليفزيون !

(تخرج الجدة من الجانب الأيسر وامامها سرير الطفل ، يتباعد صوتها رويدا روايدا ، يخفى دانييل رأسه بين يديه بينما تقترب مارى من مقعده) سترى كيف انه شيء عابر .

(تنحنى وتقبله بعاطفة حارة)

دانييل : انى أشعر بالخجل .

مارى : اسكت من فضلك ، كل ما هناك أنك مدلل جدا .

دانييل : بالله عليك لا تسخرى منى .

مارى : لا تعر الأمر هذه الأهمية ، كل ما حدث انك كنت مرهقا .

دانييل : لكم كنت اكثر ارهاقا في مرات أخرى ، ومع ذلك فلم يحدث لى هذا أبدا

(ينهض فجأة ويأخذ في التجول بغيظ في الحجـــرة)

هذا غير مفهوم !

مـــارى : (بنوع من فقدان الصبر) اتفقنا على ألا نتزعج ، اعتقد ان هذه الاشياء عادية (تذهب نحوه) دانييل ! . . .

(تحضنه وتقبله في شعره)

دانييل : مارى ؟ . . ولو لم تنته هذه الحالة ؟

مـــارى : ستنتهى !

دانييل : أنت . . . لن تطيق ذلك .

مـــارى : أنا زوجتك .

دانييل : (وهو يبتعد عنها في هياج) لن أستطيع تحمل هذا العذاب .

مـــارى : (بحزن) لا تحمل الأمر هذا الحمل .

(صمت طويل ، وفجأة تسمع ضجة عندما تعود الجدة الى الظهور وهى تقلب ملعقة في كوب ماء . تأخــــذ مارى في تقليب صفحات الصحيفة) .

الجـــدة : خـــذ هذا .

دانييل : هـــه ؟

الجـــدة : بالتأكيد عندك صداع .

دانييل : لكن اذا كنت لا أشعر بأى . . .

مـــارى : (بصوت منخفض) خـــذه !

دانييل : شكرا لك يا أمى

الجـدة : (تقول لمارى بينما يتناول هو السائل) سأذهب لا ضع اناء الطهى على النار .

مـارى : أنا ذاهبة الآن فورا يا جدتى . (تتناول منه الجـدة الكوب ثم تنظر اليهما وتخرج مرة ثانية)

دانييل : اذهبى معها ، لا فائدة من الكلام في هذه الاشياء .

مـارى : (تتأهب للخروج ولكنها تتردد قليلا ثم تعود) لمـاذا لا تذهب لا ستشارة الدكتور بالى ؟

دانييل : لا تكونى ساذجة يا معلمتى الصغيرة ، فالأطباء النفسيون لا يوضحون لك أى شيء ، بل على العكس يزيدون الناس ارتباكا .

مـارى : (يتزايد الضوء في حجرة المكتب العام التى يدخل اليها مارسان من الباب الخلفى ، وهو رجل في حوالى الخامسة والثلاثين من عمره ، يتوجه الى التليفون ويبدأ في ادارة قرصه) بالنسبة لى ، لقد خفف عنى كثيرا جدا .

دانييل : (بابتسامة حزينة) لقد خفف عنك الزواج . . يا طفلتى الصغيرة .

مـارى : هل تريد ان أطلب لك منه موعدا ؟ يمكننا أن نذهب معا

دانييـل : ان هذا يكون أسوأ ، فأنا لا يمكن أن أطيق ذلك . (يذهب للجلوس على المقعد)

مـارى : (وهى تتنهد) سأذهب مع أمك .
(تتوجه نحو اليسار ، مارسان انتهى من ادارة الرقم ، يدق التليفون فينظر اليه دانييل بدون ان يحرك ساكنا) . انتظر . . سأرد أنا عليه .

(تذهب إلى التليفون وتتناول السماعة)

آلـــــو . . .

مارسان : (وهو يبتسم) السيدة بارنيس ؟

مـــارى : نعم ، من أنت ؟

مارسان : مارسان ، زوجك موجود ؟

مـــارى : (وهى تغطى السماعة بيدها) انه مارسان ، هل أقول له انك لست هنا ؟

دانييل : لا يمكنك ان تعملى هذا يا مارى !

مارسان : هل زوجك موجود ياسيدة بارنيس ؟

مـــارى : سيأتى الآن حالا .

مارسان : عليك أن تسامحينا إذا نزعناه منك من جديد . . . أتسمعيننى ياسيدتى ؟

مـــارى : نعم أسمعك (دانييل يمد يده وهى تشير اليه بأن ينتظر)

مارسان : أحيانا أشعر بالسعادة لاننى مازلت أعزب . . فلا بد انه شيء سخيف للغاية أن يضطر الانسان بكثرة إلى ترك زوجة فاتنـــة مثلك .

مـــارى : من فضلك ، لا تسخر منى .

مارسان : (بجدية) أنت تعرفين أننى لا أسخر.

مـــارى : ها هو زوجى (تترك السماعة لدانييل)

دانييل : ماذا قال لك ؟

مـــارى : سخافات .

دانييل : (متحدثا في التليفون) ماذا وراءك يا مارسان ؟

مارسان : سأمر عليك بالسيارة لتأتى معى .

دانييل : ماذا ؟

مارسان : أوامر أصدرها « بابا »

دانييل : اسمع . . اسمع . . « بابا » تركنى حرا هذا المساء .

مارسان : لقد كلموه في التليفون يتعجلونه ، علينا مرة أخرى أن نأتى بهذا العصفور .

دانييل : (وهو يعض شفتيه) ألا يمكن أن يصحبك دالتون أو بوثنر ؟ كنت أريد الذهاب للطبيب . .

مارسان : (يضحك) دعك من هذه الثرثرة ، فهنا أيضا يوجد طبيب وليس لديك أى شيء تشكوه . .
أم أن العمل ربما كان يثقل عليك ؟

دانييل : لا تكن أحمق .

مارسان : (ضاحكا) على أية حال ، ما زالت أمامك بضع ساعات من الفراغ ، فالحفلة المسائية لن تبدأ الا في الليل ، أما الآن فأنا ذاهب على الفور .
(يضع سماعة التليفون ودانييل يفعل ذلك هو الآخر ينطفئ النور في المكتب العام ، مارسان يهبط على السلم غير المرئى إلى ناحية اليسار)

مــارى : هل أصحبك إلى الطبيب ؟

دانييل : (باستنكار) كانت تعلة . . أحضرى لى الحذاء .

مــارى : هذا ما كنت أخشاه .

(تخرج من الشمال ، يتجول دانييل في الحجرة

باضطراب ظاهر ، ثم يتجه فجأة إلى المنضدة الصغيرة يمسك بدليل التليفون ويبحث عن رقم ما ، يعود التليفون للرنين فينظر اليه دانييل بغيظ ثم يتناول سماعته)

دانييل : آلو .. (تعود مارى ومعها حذاؤه) .. نعم .. تكلمى .. لحظة من فضلك » (يمد يده بسماعة التليفون إلى زوجته) احدى صديقاتك .

مــارى : من أجلى أنا ؟ (تتناول السماعة بينما يأخذ منها دانييل حذاءه ويبدأ في تغيير ملابسه) من ؟ .. (بفرح) آه .. نعم ، لكنى لا أكاد اتذكر صوتك .. ذات الضفائر ؟ آه .. يا للفرحة .. لابد وأنك قد أصبحت الآن امرأة ـ . طبعا ! ... أنا أيضا تزوجت لماذا لا تأتين هذا المساء ؟ (تضحك) انتظرى . (تغطى سماعة التليفون بيدها) لا تجرؤ على المجئ إذا كنت ستبقى بالمنزل ، هى دائما خجول ، انها تلميذة قديمة لى .

دانييل : بالطبع ، قولى لها أن تأتى ، فلعلها تسليك قليلا .

مــارى : اسمعى ، تعالى في السادسة ، وتناولى معى وجبة العصر الخفيفة ، لا تتأخرى، هه ؟ قبلاتى الكثيرة يابنيتى .. إلى اللقاء . (تضع السماعة) انها في غاية اللطف وسأعرفك بها .

دانييل : (وهو يمد اليها يده بالخف) نعم .. لكن في يوم آخر .. اسمعى ، يجب علىّ الآن أن أتحدث بالتليفون ثم أمضى بعد ذلك ، اذهبى مع أمى ، ولا تقولى لها منذ

الآن انني سأضطر لمغادرة المنزل . . . فقد كان املها كبيرا في بقائى .

مــارى : طيب (تقبله) فكر فيما قلته لك ولا تتخاذل ياحبيبى (تذهب إلى الناحية اليسرى ثم تلتفت) هل ستعود هذه الليلة ؟

دانييل : لا أظن .

مــارى : يالها من رئاسة ! ! (ترسل له قبلة في الهواء فيرد عليها دانييل بمثلها ، وعندما يراها تخرج يسرع بالبحث في الدليل عن الرقم بعصبية وعندما يجده يدير قرص التليفون ، لحظة انتظار ينظر خلالها بتوجس إلى اليسار)

دانييل : دكتور بالمى ؟ . . هل يمكن أن تحجزى لى موعدا في مع الدكتور اليوم ؟ . . اسمعى ياآنسة . . أنا دائم مشغول بطريقة فظيعة ، وليس عندى لحظات فراغ الا هذا المساء . . نعم . . سأنتظر (سكتة) آلو . . اتفقنا في الساعة الرابعة . . شكرا جزيلا . . هه ؟ . . بارنيس ، عفوا .

(يضع السماعة ثم ينفث زفرات عميقة ، ويظل ذاهلا للحظات قبل أن يأخذ طريقه الى الباب الخلفى للمسرح . تدخل الجدة من اليسار تتبعها مارى ويعود دانييل) .

مــارى : أنت تعرفها جيدا ، لقد فهمت ما حدث .

الجــدة : هل ستذهب ؟

دانييل : (يمضى نحوها ويقبلها) لا حيلة لى في الأمــر . . غدا نتغذى سويا (يعود للخروج)

الجـــدة : ألا تحمل معك هذا السلاح ؟

دانييل : آه ! . . نعم (يتناول المسدس ويحتفظ به) وداعـــا . (يخرج ، وماری تذهب بدورها من الناحية اليسرى).

الجـــدة : (وهی تتنهد) آه . . یا الهی ! (تخرج من اليســـار . يتلاشى النور من منزل عائلة بارنيس وينمو في الناحية اليمنیء حتی یضیء الدكتور بالمى ، اللحن الليلى لشوبان يسمع من جديد وان كانت خافتة ، تجلس السكرتـــيرة وبيدها القلم والكراسى الى جوار الحائط الجانبي) .

الدكتـــور : يقول زملائى انى طبيب نفسانی فاشل ، ولكننى أضحك منهم وأدفع لهم من نفس العملة . لست إخصائيا ، ففى هذا الحى ينبغى على الانسان ان يؤدى كل الادوار ، وقد درست الامراض العصبية . في الصباح أعمـــل في مصحة عقلية ، اما في المساء فأستقبل في عيادتى الخاصة بعض المرضى ممن يعانون من هذه الاضطرابات ، يمكن أن يقال انى طبيب مجرب ذو حنكة ودراية وان كنت أر تكب من حين لآخر بعض الأخطاء كما أصيب أيضا كثيرا من التوفيق المفاجئ الذى يعود قبل كل شيء الى الثقة في الحـــدس .

سيبتسم زملائى عندما يقرأون هذا الكلام . . أنا أعرف بهم . . فهم يقضون حياتهم في الحديث عن مركبـــات النقص أو الإحالات ، وانا لا أكاد أذكر شيئا من ذلك في هذا الكتاب ، لانه كتاب موجه للقارئ العـــادى ، ولو قرأه أحد علماء الاجتماع لا فتقد فيه أيضا الأسباب العامة التى تتكفل — طبقا لنظرياته — بتفسير كل شيء .

لست الا طبيبا في أحد الاحياء المتواضعة . وان كان للإخصائيين في علم النفس او الاجتماع معرفة أعمق او لنقل أكثر تعقيدا مما أتيح لى ، الا انها عادة أكثر برودا وجفافا ، فأمام تحليلاتهم المتقنة يبدو انه قد تبخر كل شيء ، حتى الألم نفسه ! . . بينما لا أستطيع انا نسيان هذه الاوجاع البشرية . فما يعنيني في الدرجة الأولى انما هو هذا الشخص المحدد الذى يأتى لا ستشارتى وعيناه مبللتان بالدموع وقلبه يرتجف .

السكرتيرة : وقلبه يرتجف .

الدكتور : من طبيعتى ان أفضل الكشف عن آلام الانسان في مستواه العادى كواحد من البشر ، وان كان هذا لا يكاد يوضح حساسيته المستنفذة الا انه يبعث فيها الحياة . لانه لا ينبغى لنا ان نحاول الوصول لعالم أفضل عن طريق العلم فقط . بل يجب ايضا أن يكون هذا عن طريق الحياء

السكرتيرة : طريق الحياء . (يصمت « البيانو »)

الدكتور : هذه الحالة كانت بالرغم من أى شيء واحدة من أنجح الحالات التى عالجتها ، أقول هذا بدون غرور ، اذ أعتقد أنه كان من السهل علىّ فهمها .

(يلتفت نحو السكرتيرة التى تتقدم في اتجاهه وبيدها مذكرة) .

السكرتيرة : المريض الذى حان موعده في الرابعة يا دكتور .

الدكتور : (يتناول منها المذكرة ويطلع عليها) دانييل بارنيس موظف عمومى . . العمر . . . حسنا ، دعيه يدخل .

(تخرج السكرتيرة ثم يدخل بعدئذ دانييل)

دانييل : مساء الخير يا دكتور .

الدكتـــور : (يتقدم نحوه ويصافحه) تشرفنا بمعرفتك يا سيدبارنيس اذا لم أكن مخطئا فقد سبق لى التعرف على السيدة زوجتك كيف حالها ؟

دانييل : انها على خير ما يرام ، شكرا ، اما المريض الآن فهو أنا

الدكتـــور : تفضل بالجلوس ! (يقدم له « علبه » السجائر) هـــل تحب أن تدخن ؟

دانييل : (يجلس على المقعد الكبير وهو يبتسم) شكرا . ! (بينما يشعل سيجارته من « ولاعة » الطبيب تندّ عنه ضحكة خفيفة) معذرة لو كنت أضحك ، فقد فعلت معى نفس الشئ تقريبا الذى أفعله مع الآخريـــــن . . باستمرار . .

الدكتـــور : تقدم لهـــم السجائر ؟

دانييل : (مستدركا) نعم ، ولكنى سأشرح لك الأمر في حينه .

الدكتـــور : (يجلس على الكرسى ويشعل بدوره سيجارة) إذن . . فلتحك لى .

دانييل : كما ترى . . . ليس الأمر سهلا . .

الدكتـــور : انى هنا لمساعدتك ، عليك بالهدوء ، وابدأ من أى جانب سيان عندى !

دانييل : (بعد أن ينفث زفرة عميقة) لعله من الأفضل ان يقول

الانسان كل ما لديه دفعة واحدة . . منذ اثنى غشر يوما يا دكتور وأنا لا أستطيع القيام بواجباتي الزوجية .

الدكتـــور : هل تخيفك الكلمة ؟

دانييل : ماذا ؟

الدكتـــور : تريد أن تقول انك تعانى عجزا جنسيا .

دانييل : (يخفض رأسه) نعم ، ، وهذا يخيفنى للغاية .

الدكتـــور : فلنحاول فهم الأمر بدقة ، هل تشرع في العمليـــــة ولا تستطيع انجازها أم أنك لا تشعر اساسا بالرغبة ؟

دانييل : احاول ولا أستطيع ، لكن لا أعرف ان كنت حقيقـــة أشعر بالرغبة ، زوجتى المسكينة تبذل أقصى ما فيوسعها لحثى وانعاشى ، لكن بلا فائدة ! أحيانا لا يحدث شيء على الاطلاق . . وأحيانا أخرى بدون ان استكمل الوضع اللازم أفضى بما لدى على غير توقع .

الدكتـــور : حتى الآن لا ينبغى ان تقلق ، فهى أشياء عادية وتحدث أكثر مما يظن الناس عادة .

دانييل : يسرنى أن أسمع هذا منك يادكتور .

(يطفئ سيجارته في المنفضة المثبتة على حافة المقعد) .

الدكتـــور : هل سبق ان حدث لك هذا في ظروف أخرى ؟

دانييل : أحيانا لم أكن أشعر بشهوة ، لكن هذا عادى فيما أعتقد !

الدكتـــور : هذا الافضاء على غير توقع ، هل عرفته من قبل ؟

دانييل : لم يحدث لى مثل هذا على الاطلاق

الدكتـــور : هل انت رجل ذو مزاج حاد ياسيد بارنيس ؟

دانييل : نعم . . كنت دائما صاحب مزاج خاص .

الدكتـــور : هل تحب زوجتك ؟

دانييل : احبها أكثر من أية امرأة أخرى .

الدكتـــور : وبالرغم من ذلك ، هل يمكن أن تجد نفسك — ولو للحظة عابرة — متعبا منها ؟

دانييل : لا يادكتور . . في بداية الأمر خطرت لى نفس هذه الفكرة وقلت لنفسى يستحسن التنويع ، فمنذ ان تزوجت وأنا لم أفعل شيئا من ذلك ، لكنى هذه المرة سأجرب غيرها . . من أجلها هى ! ! من أجل أن أعود اليها ! وذهبت بثقة بالغة مع امرأة أخرى كنت أحبها كثيرا من قبل . . . كان شيئا مذلا ومهينا . . . ومن بعدها والخوف يستبد بى .

الدكتـــور : كم ساعة تفعل في اليوم ؟

دانييل : كثيرا . . لكنى دائما اتمتع بصحة جيدة ، لا . . . لست مرهقا ولا مسمما ، . . لا أشرب . . . ولا أكاد أدخن الا لماما . بل هناك ماهو أكثر من ذلك ، ففى الأيام الاخيرة أخذت بعض الحقن من «الهرمونات» طلبتها من الطبيب الذى يشرف علينا في مقر العمل ، متذرعا بانى أمر بمغامرة خاصة ولا أريد أن أهمل اثناءها زوجتى . . كل هذا بلا جدوى !

الدكتـــور : (يهز كتفيه) يبدو انك رجل سليم من ناحية القوى

الجنسية ، على أية حال ، اجبنى بصراحة ، أرجوك . .
فهذا هو الافضل .

دانييل : عن أى شيء ؟

الدكتـــور : هل شعرت وأنت كبير بأى نوع – مهما كان تافها – من الميل الجنسى لمن هم مثلك ؟

دانييل : اطلاقا .

الدكتـــور : وانت صغير ؟

دانييل : على ما أذكر . . . أبدا .

الدكتور : هل لديك تجارب أخرى غير ممارسة الحب مع النساء ؟

دانييل : هذا يتوقف على ما يمكن فهمه من كلمة تجارب .

الدكتـــور : اعنى إذا كنت تستغنى اراديا عن اتمام العملية للوصول إلى الاشباع الجنسى .

دانييل : أنا دائما أتم العملية

الدكتـــور : اذن . . فأنت طبيعى جدا على غير المعتاد ، ياسيد بارنيس (يبتسم) هذا أمر قد يطول ، لكن اطمئن سنعثر على السبب ، ماهو عملك ؟

دانييل : أنا ؟ . . . موظف عمومى

الدكتـــور : اعرف هذا ، لكن بأى نوع من الوظائف العمومية تقوم ؟

دانييل : (يبتسم) لسنا معتادين على الصراحة فيما يتصل بهذا الموضوع . . فهناك كثير من الشك وسوء الظن بنا . .
لكن . . لا أفهم العلاقة بين هذا . . و . .

الدكتــور : (يحد اليه النظر) هل تنتمى إلى البوليس ياسيد بارنيس ؟

دانييل : (بعد هنيهة) انتمى إلى القسم السياسى في الامن القومى.

الدكتــور : (الذى لا يستطيع ان يتفادى رجفة مفاجئة) انت اذن . . مخابرات ؟

دانييل : هكذا يسموننا (لحظة صمت ، ينهض الدكتور بالملى ببطء وتثاقل ويشرع في التجول في الحجرة مفكرا صوت دانييل يكتسب نبرات حادة) سيكون مؤسفا لو كنت أيضا تسىء بنا الظن .

الدكتــور : انا لم أقل شيئا من هذا ياسيد بارنيس ، هل هو الدكتور كليمنس الذى طلبت منه أن يكتب لك على « الهرمونات » ؟

دانييل : نعم ، هل تعرفه ؟

الدكتــور : معرفة سطحية ، ألم تستشره في حالتك هذه ؟

دانييل : هناك . . لا أريد أن يعرفوا شيئا من ذلك .

الدكتــور : مفهوم ! . . كيف بدأت العمل في الشرطة ؟

دانييل : (وهو يكبت حركة تنم عن عدم الصبر) هل من الضرورى أن أحكى هذا ؟

الدكتــور : ربما كان ضروريا .

دانييل : اعمل في القسم السياسى منذ ثلاثة أعوام ، أما الشرطة عموما فقد التحقت بها منذ عشرة أعوام . . أصبت باليتم وأنا لا أزال صبيا صغيرا ، فاضطررت للعمل في بعض المحلات ، كنت أريد أن أدرس ، أكتب

(يبتسم) حسنـــا ، أكتب الآن بعض الاشيـــاء لمجلتنا . فأنـــا أحب القراءة ، أتعرف ؟ انى من هواة الاطلاع !

الدكتـــور : اعتقد أن هذا شيء عظيم .

دانييل : كان رئيسى الحالى صديقا قديما للعائلة ، فأشار على والدتى ان تقوم باعدادي للالتحاق ، هكذا بدأت الخدمة ، ومنذ ثلاثة أعوام نقلنى هو بنفسه إلى القسم ، عندما رأى انني اصبحت ناضجا من الناحية السياسية .

الدكتـــور : حسنا ، وما هو رأيك في الاسباب الممكنة لهـــذا الاضطراب الذى تعانيه ؟ أحيانا ، يشك المريض في شيء ما . . .

دانييل : أنا . . لا أعرف .

الدكتـــور : فكر معى ، حادثة ما في مرحلة الطفولة ، تتصل بالجنس أو بالنشاط الجنسى لأبويك . . أو لأحـــد الاصدقاء .

دانييل : (يهز رأسه سلبا) حاولت البحث عن شيء من هذا .

الدكتـــور : هل تذكر بعض الاحلام التى رأيتها أخيرا ؟

دانييل : لا .

الدكتـــور : (وهو يعاود الجلوس) ألم يحدث لك شيء بالصدفة فى الأيام السابقة له علاقة ما بالجنس ؟ حتى لو كان فـــى قراءتك !

دانييل : (بعد لحظة وبدون أن ينظر اليه) لا .

الدكتـــور : لماذا لا تنظر اليّ ؟

دانييل : (ينظر اليه) قلت لك لا يادكتور !

الدكتور : وبالرغم من ذلك ، يمكننى أن أقول نعم ، فقد طرفت عيناك أمام سؤالى .

دانييل : ربما حدث هذا صدفة !

الدكتـــور : لا ، ليس بمحض الصدفة ، فأنت رجل بوليس ولابد أنك تعرف هذا جيدا ، كما أنك تعرف تقديم السجائر لمن تستجوبهم كى يثقوا بك ، أيضا ، أنا أعرف هذه الوسائل البوليسية ، لكن على طريقتى الخاصة ، احك لـــــى !

دانييل : هذا لا علاقة له .

الدكتـــور : لا تستطيع أن تؤكد ذلك ،احك ، حتى لو كان الأمر يبدو لك بلا أهمية .

دانييل : ليست المشكلة في انه يبدو لى مهما أو لا ، بل في انه لا علاقة له بما نحن فيه ، زد على ذلك انه يعتبر من أسرار المهنة .

الدكتـــور : ومن أسرار مهنتى انا أيضا ، هنـــا يأتى الناس يا سيد بارنيس ليقصوا علىّ اسرارهم .

دانييل : على أية حال ، لا ينبغى لى أن أبوح به .

الدكتـــور : لك كامل الحرية في أن تلزم الصمت ، لكن . . فى هذه الحالة لا أستطيع مساعدتك ! (ينهض واقفا) .

دانييل : (ناهضا بدوره) انتظر ، مادمت مصمما فسأحكيه لك ، لكنى لا أرى العلاقة بين هذا و . . .

الدكتــور : (بشدة) تكلم يا سيد بارنيس ، لقد جئت الى هنا من أجل ذلك .

دانييل : انها أشياء لا يفهمها معظم الناس ، لكنها ضرورية .

الدكتــور : تفضل ! (يجلس ويشير اليه كى يجلس على مقعده) .

دانييل : (بدون أن يجلس) هذا شيء مضحك ! . . ينبغى أن نبحث في جانب آخر.

الدكتــور : (بإصرار) احك !

دانييل : على انه . . ليس من حقك ان تحكم على هذه الأفعال .

الدكتــور : أنا لا أحكم على شيء . . فأنت الذى ستحكم عليها .
(في حجرة المكتب العام ينمو ضوء غير واقعى يميل الى الاخضرار) .

دانييل : هناك . . كل الناس يذهبون ليكذبوا يا دكتور . . . لابد أن تأخذ هذا في اعتبارك . . ومنذ عشرين يوما تقريبا . . كان علينا ان نعامل بصلابة كافية احد المقبوض عليهم (يضحك بعصبية) و « بابا » كما نسميه فيما بيننا – كلفنى بأصعب مهمة .

(خلال هذه الكلمات يدخـــل باولوس رئيس القسم السياسى من الباب المواجه للمشاهد في المكتب العام ، ويأخذ مكانه جالسا خلف المنضدة ، وهو رجل متقدم في السن ، وقد علاه الشيب وإن كان لا يزال يحتفظ بمظهره الصارم القوى) .

الدكتــور : « بابا » ؟

دانييل : اعنى رئيس القسم ، وهو رجل عظيم .

الدكتـــور : هل أنت الذى أطلقت عليه هذه التسمية ؟

دانييل : لا أذكـــــر . .

الدكتـــور : هل هو صديق العائلة القديم ؟

دانييل : هو نفســـه .

الدكتـــور : استمر من فضلك .

دانييل : (وهو يتقدم نحو السلم المتنقل) انت تعرف اننا نعيش الآن في سوريليا أياما حرجـــة ، ونتيجة للاضطرابات الأخيرة فلدينا في القسم ما يربو على ستين شخصا مـــن المعتقلين (يلتفت وينظر اليه) ان مهنتى شاقة يا دكتور ، لكن بدوننا تغرق البلد ، ينبغى أن تفهم هذا .

الدكتـــور : استمر .

(يأخذ دانييل نفسا عميقا ثم يعود ويصعد على السلم المتنقل وعندما يراه رئيس القسم يحدق فيـــه النظـــر ، بينما يلتف في الظلام الركنى الذى يجلس فيه الدكتور)

دانييل : لقد اعترف المتهم الذى كلفتنى به سعادتك . . وتركت لدالتون مهمة نسخ الاعتراف .

باولوس : (وهو ينظر الى ساعة يده) في ساعتين ؟

دانييل : لم يطق أكثر من ذلك

باولوس : حسن جدا يا بنى ، لو استطاع مارسان ان يهز المتهمين الموكلين اليه لكان بوسعنا أن نتم هذا الموضوع ، تريد سيجارة ؟

دانييل : (يتقبلها) ومارتى ؟

باولوس : سيأتون به الآن ، لهذا أريدك الى جانبى فعلينا ان نحمله على الاعتراف ، مهما كلفنا الأمر !

دانييل : (يهز كتفيه) بعد كل الذى فعلناه به !

باولوس : عندى فكرة (يدق التليفون فيتناوله) آلو . . (صوته يتغير) رهن اشارتكم .

(يصعد من السلم غير المنظور كل من لويخى وبوثنر وهما يقودان مارتى المكبل بالاغلال ، يشير اليهم باولوس بان ينتظروا بينما يستمر في المحادثة التليفونية. لويخى رجل نحيف ومبتسم دائما وان كانت تلاحظ في حركاته دلائل شىء مبهم ، اما بوثنر فهو بدين وهادئ ، المعتقل — أنيبال مارتى — لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، وهو يرتدى قميصا و « سروالا » « قديما » وصندلا » . يبدو عليه انه لم يحلق ذقنه منذ أيام عديدة فمظهره بشع للغاية كأن عليه سيماء الموت) .

نعم يا سيادة الرئيس ، اعترفوا كلهم كلهم تقريبا . . أعتقد انه في خلال يومين . . أنا طوع أمرك ! (يضع السماعة) بوثنر ، اخلع عنه السلاسل (بوثنر يفك أغلال المعتقل ، يتحسس مارتى معصمه باصابع مرتجفة ، يجلس لويخى على الأريكة ، اما باولوس فينهض ويقترب من المقبوض عليه بينما ينحنى دانييل على المنضدة) هل كانت ضيقة عليك ؟

بوثنر : لا ، لكن أى احتكاك يوجعه بسبب الحروق .

باولوس : آه . . الحروق ! (يمسك يد مارتى وينظر اليها) لكن هذه ليست إلا شرارات بسيطة تطايرت من المعدن الى جلده ، العملية لم تكمتل حتى الآن ، كم مرة وضعناه تحت التيار يا لويخى .

لويخـــى مرات قليلة جدا يا « ريـس » ، لا تتجاوز الست

باولوس : أرنى أظفارك !

(يضغط برفق على طرف اصابع يده الشمال فيكتم مارتى تأوهاتـــه) لا تتباكى ، فنحن حتى الآن لم نمس يدك اليمنى ، إذ يجب أن نحتفظ بها سليمة للتوقيع . (يفتـــح الباب المواجه للمشاهد ويدخل منه مارسان بـــــــدون « جاكته » وقد أمسك في يده بورقتين ثم يتقدم ويضعهما على المنضدة) .

مارسان : هذان الاثنان فرغا من الغناء (١)

باولوس : (موجها الحديث لمارتى) هل علمت يا أحمق ؟ كلهم يعترفون ، ويوقعون على اعترافاتهم ، اقترب . انها ليست حيلة من جانبنا (يدفعه بوثنر حتى يصل الى جانب المنضدة ولا يستطيع ان يتفادى نظرة قلقـــة الى الأوراق) أيهمك ان تقرأها ؟ هه ؟ (يضــع الأوراق أمام عينيه) خذها (يأخذها بالفعل مارتى ويشرح في قراءتها ، لويخى يضحك ، باولوس يدور حول المنضدة وعندما يصل خلف مارتى يدفعه في كتفيه ليجلس على المقعد) اجلس يا مغفل ! سوف لا تقوى على الوقوف

(١) مصطلح بوليسى معناه الاعتراف .

(ينزع منه الأوراق ويلقى عليها نظرة) أحسنت صنعا يا مارسان .

مارسان : شكرا يا « ريس » (ينسحب إلى مسند الأريكة متكئا على الحائط) .

باولوس : اجلس يا بوثر . . وانت يا دانييل (يذهب بوثر الى ركن من الأريكة أما دانييل فيجلس الى جوار آلة الكتابة) حسنا . . لم يبق سواك ، وستتكلم !

مارتى : قلت لكم كل ما أعرف .

مارسان : أتسمع هذا يا لويخى ؟ ، لقد قال كل ما يعرف

لويخى : (بضحكة خفيفة) كم يؤثر هذا في نفسى ! .

باولوس : صمتا . . أعطه سيجارة يا دانييل ، هذا حوار ودى (يشعل لنفسه سيجارة بينما يضع دانييل سيجارة أخرى في فم المعتقل ويشعلها له ثم يعود إلى مكانه) مارتى ! أنت لست الا حلقة اتصال . . ففى اليوم الثانى من الشهر الماضى استقبلت زائرا مجهولا جاء من خارج البلاد ولاتعرف من هو . . أعطاك مظروفا كان يجب عليك ان تحمله الى مكان ما دون أن تعرف ايضا محتواه ، حسنا ، لنصدق كل هذا ، لكن المكان الذى ذهبت اليه ، والشخص الذى سلمته المظروف لابد وأنك تعرفهما .

مارتى : قلت لك إن هذا تم في أحد المقاهى .

باولوس : بل كان في أحد المنازل (يرفع بيديه أوراق الاعترافات لقد رأيت إنهم جميعا متفقون على ذلك .

مـــارتى : هذه الاعترافات . . . من الممكن ان تكونوا قد حصلتم عليها . . .

مارسان : (بشدة) ماذا تقول ؟ (ينظر اليه مارتى برعب بينمـــا يتقدم نحوه مارسان) كيف حصلنا عليها ؟ قل ؟

باولوس : كلهم خانوك يا مارتى ، ليسوا الا مجموعة من الجبنـــاء ولا يستحقون صمتك ، الا تدافع عن نفسك بذكـــر المسئول الحقيقى لنا ؟ (صمت) لا تخدع نفسك ! . . . زملاؤك يبوحون بالسر ، كما انهم سيكشفون عـــــن رئيسكم ، اذ لابد وأن يوقعوا في نهاية الأمر على مانهواه نحن ، فهل ستقاوم أنت أكثر منهم ؟ (صمت) لـــو تكلمت . . أعطيك كلمة شرف (مارتى ينظر اليـــه) ان تكون تهمتك مخففة . . فأنت لم تكن إلا حلقة اتصال وكنت تجهل كل شيء . وقد اختاروك لهذا الســـــبب بالذات ، ولن تأخذ إلا ثلاث سنوات سجن أو أربعا ، شيء بسيط . . تمر بسرعة ، وبعدها تعود الى حيـــــاة جديدة ! هـــذا . . لو أردت الكلام ، أمـــا إذا . . . ستتكلم على أية حال ، لكن بما نريده نحن ، وعندهـــا ستكون واحدا من الرؤساء ، وأنت نفسك ستوقع على على هذا . هنا لا مهرب ، وانت تعرف ذلك ! ! فماذا تقرر ؟ (صمت)

مارسان : هل تريد أن نحضر زوجتك إلى هنـــا مرة أخـــرى ؟ (ينظر اليه مارتى بذعر شديد)

باولوس : سيكون هذا شيئا فظيعا ، أليس كذلك ؟ ما أكـــــثر ما تحبها ، ومع هذا فعندما كانت هنا لم تتكلم ! لاتخف

لن نعود لإحضارها مرة أخرى ، فهناك كلام كثير في الخارج عن حقوق الإنسان ، ومحامون على أهبة التدخل ، وليس من الملائم لنا أن نضغط على من سيبقون خارج السجون ، لقد تزوجتما منذ وقت قليل ، أليس كذلك ؟

بوثنر : منذ عام ونصف يا « ريس »

باولوس : مازلتما في شهر العسل ، كما يقال ، لا أعرف لماذا تحشرون أنفسكم في هذه المشاكل ؟ لو خرجت من هذه . . ألا تحب ان يكون لديك أولاد ؟ . . . أجب . !

مارتى : لا أعرف .

باولوس : طبعا تتمنى ذلك ، وهى أيضا ، ألاحظ انكما مثل زوج من اليمام العاشق ! (بعذوبة بالغة) . هذا مؤسف حقيقة ، لأنه ربما لا تتمكنان من الإنجاب (ينظر إليه مارتى دون أن يدرك ما يعنيه) لا . لا أقول هذا لانك ستموت ، أو لأنك ستقضى طيلة عمرك فى السجن . فبعد اعادة النظر في الأمر ربما كان من المفضل ان نجعل تهمتك يسيرة حتى تستطيع ان تعود الى زوجتك في خلال أعوام قليلة . (أفراد الشرطة ينظر بعضهم إلى بعض) .

مارسان : كم أنت طيب القلب يا « ريس »

باولوس : طيب ؟ . . لكن على أية حال لا مناص من الضغط عليه . . حتى لو اضطررنا أن نقسو في ذلك . . إلى الحد الذى لا يستطيع بعده أن ينجب أولادا ! ! (ينظر اليه مارتى

بفزع هائل ، أمـــا دانييل فيقوم من مكانه بينما يتبادل الجميع النظرات) . لكن . . لا أعتقد انه يريد ان يعيش طيلة حياته مـــع امرأته مثل اختها ، فهذا سيكون ثمنا فادحا لجنون الشباب المستبد به ! !

لويخى : (ينفث بفمه صفيرا خفيفا) رائع !

باولوس : (يقول بعنف لمارتى) اظن أنك تفهمنى ، انا جاد فيما أقول ، فقد ضقنا ذرعا بك ! تكلم ! .

(ينهض لويخى ويتقدم نحوه خطوة ، بينما ينضم مارسان للجماعة)

مارتى : (ينهض هو الآخر وقد أصابته لوثة « هستيرية »)

انا لا أعرف ، لا أعرف شيئا !

باولوس : كفى ! انت الذى تريد أن تفعل هذا بنفسك . احملوه الى الداخل ليخلع ثيابه ! دانييل : ابق هنا معى (بوثر ومارسان يجران المعتقل الى الباب المواجه للجمهور الذى يسارع لويخى بفتحه لهم)

مـــارتى : قلت لكم انى لا أعرف شيئا على الاطلاق .

بوثر : من الافضل لك أن تدعى أنك لا تذكر ، لكنك الآن ستتذكر جيدا .

(ينظر اليهم مارتى وقد بـــدا عليـــه الانهيار وتفكك الاوصال ثم يخرجون من الباب المواجه للمشاهد) .

لويخـــى : هل نبدأ الآن يا « ريس »

باولوس : سأدخل حالا بنفسى ، (ينكس لويخى رأسه ثم يخرج بدوره مغلقا الباب خلفه .)

(أما باولوس فينظر الى دانييل) .

دانييل : اعتقد أنه سيتكلم . . لقد حطمه هذا التهديد .

باولوس : هذا ليس تهديدا .

دانييل : لكن . .

باولوس : مازال ينكر . . . ولن يتكلم حتى نبدأ معه ، عندها سترى كيف تحل عقدة لسانه ، لقد اصبحت عج ز ا لا أو من إلا بهذه الوسائل الفعالة اما التيارات الكهر باثية وغيرها من الكلام الفارغ الجديد فلا قيمة له . الرجل لايهزه حقيقة الا ما يمس رجولته ويؤذيه في اعضائـه الحيوية ، هذه حقيقة لاتخطئ ابدا .

دانييل : واذا . . لم يتكلم ؟

باولوس : (ينهض ثائرا) لابد أن يتكلم ! (يأخذ في التجول بالغرفة)

دانييل : ألا يكون هناك خطر من . . . أن يموت ؟

باولوس : سنأخذ حذرنا (يلتفت اليه وينعم فيه النظر) أنت الذى ستقوم بهذا . . يابنى !

دانييل : (تصدر عنه شهقة مفاجئة) أنا ؟

باولوس : لا أثق في أى واحد من هؤلاء ، هذه الأشياء تثير حماسهم . . لكنى أريدك أنت أن تقوم بهذه المهمة (يضع يده على كتفه) دانييل . . حذار أن تخالجك به رحمة . . انهم وحوش علينا ان نسحقهم بلا تردد .

دانييل : لست أدرى . . كيف أعمل هذا !

باولوس : سأدلك على الطريقة التى تتبعها (يذهب نحو الباب) هيا بنا !

(يفتح الباب ويبدأ الضوء في الخفوت بينما يتسلط على الدائرة الأولى، باولوس يخرج من الباب المواجه للمشاهد ويغلقه خلفه ، اما دانييل فيبدأ فى هبوط السلم المتنقل . يسود الظلام في الطابق الأعلى) .

دانييل : وكان لابد من الوصول بالأمر الى مداه . . حتى النهاية (يقول هذا وهو يهبط حتى يصل الى أسفل) .

الدكتـــور : (بدون أن ينظر اليه) كيف فعلت هذا ؟

دانييل : (بضيق) دل من الضرورى الدخول في التفاصيل ؟

الدكتـــور : يكفينى الآن أن ألاحظ دلالة امتناعك عن سردها . هل تكلم المعتقل ؟

دانييل : (ببرود) لقد انهار حتى أصبح من اللازم حمله الى المستشفى ، لكن أعدناه اليوم بالذات الى مقر رئاسة القسم .

الدكتـــور : آه ! (يعود دانييل الى الجلوس) اذن . . استعاد قواه؟

دانييل : لقد أوشك على الشفاء، لكنه لايمكن الآن أن يكون رجلا

الدكتـــور : هل انت متأكد ؟

دانييل : هذا ما قاله الطبيب (صمت طويل)

الدكتـــور : أتندم على ما فعلت ؟

دانييل : ما قمت الا بالواجب علىّ ؟

الدكتـــور : لا أدرى إذا كنت قد انتبهت إلى اندماجك الكامل في الدور وأنت ترويه .

دانييل : هذه الاشياء ليست محببة ، ولكن لابد منها (صمت حسنا ، هذا كل شيء ، أظن انك قد اقتنعت الآ ن .

الدكتـــور : بم ؟

دانييل : بأنه يجب البحث عن السبب في جانب آخر .

الدكتـــور : على العكس . . الحالة واضحة للغاية .

دانييل : واضحة للغاية ؟

الدكتـــور : أنت تقول انك لم تندم .

دانييل : لم أفعل شيئا أندم عليه .

الدكتـــور : ياليتك تشعر بالندم .

دانييل : لا أفهم ؟ !

الدكتـــور : هذا أمر بسيط جدا ، لقد اخترت الندم من خلال المرض ، ولجأت إلى هذه الوسيلة على وجه الخصوص لانك لم تشعر بالندم .

دانييل : اسمع يادكتور ، لقد قرأت شيئا عن هذه الأمور ويؤسفنى أن أقول لك انها غير مقنعة .

الدكتـــور : ركز انتباهك ياسيد بارنيس ، يمكنك ان تهنئ نفسك ، فهناك حالات تحتاج إلى سنوات طويلة حتى تتضح . وقد كشفت عن حالتك بوضوح في دقائق ، ومع هذا ، فلا أعتقد انه يجب أن تهنئ نفسك حقيقة ، لانك ربما لا تريد الشفاء .

دانييل : لقد جئت إلى هنا من أجل ذلك !

الدكتـــور : بالرغم من أنك قد جئت ، هناك شيء وفي اعماقك يقول لك ان ما فعلته لا يصح أن يعمل ، مع انك تؤكد انه كان واجبا عليك ، ولكى تشفى . . . عليك أن تقر بأنك ارتكبت جرما رهيبا لا يمكن أن يبرر . وحتى لو اعترفت بذلك لا أعتقد أنه يمكنك أن تشفى ، اللهم الا إذا وصلت إلى الاقتناع المطلق ، بأن هذا وما يشبهه من أعمال القسوة انما هو أمر عادل وجدير بالاحترام والتقدير ، ولا أظن أن احدا في العالم يمكن أن يقتنع في أعماقه بشيء مثل هذا . وانت — بطبيعة الأمر — لست مقتنعا بذلك .

دانييل : لنفرض أن هذا هو السبب فيما حدث لى . . . وليس معناه إلا أن أعصابى لازالت تخوننى . أو أننى لست بالنضج الكافي ، لكننى سأعرف كيف أتفوق على هذا الضعف .

الدكتـــور : حاول ! ما دمت تظن أن هذا ممكن .

دانييل : أعرف انه ممكن ، وربما لاتكون لدىَّ القدرة اللازمة . . لكن غيرى . . لديهم هذه القدرة !

الدكتـــور : تعنى . . زملاءك ؟

دانييل : انا أعرف جيدا لم يعانوا شيئا مما جرى لى !

الدكتـــور : وكيف تعرف انهم لا يقاسون من أشياء أخرى ؟ طبقا لما وصفتهم به يمكننى أن أقول انهم ايضا مرضى لكن . . هل لى أن اسألك ماذا فعلتم في زوجة هذا المعتقل . ؟

دانييل : كان ذلك سابقا على الحادث الذى وصفته لك . .
وكنت حينئذ في الجنوب أقوم ببعض الاعتقالات .

الدكتور : لكنك لم تجب على سؤالى ، هل ضربوها ؟

دانييل : ربما !

الدكتور : انتهكوا عرضها ؟ (صمت) لا تجب إذا أردت من يعرف ؟ ربما كنت تعاقب نفسك أيضا على مافعلوه بها (دانييل يمعن فيه النظر)

دانييل : أنا لا أعمل هذه الأشياء (يهز الدكتور كتفيه) لكنها لو حدثت فهى تطرف يدل على . .

الدكتور : أن رفاقك ليس عندهم ضمير يخزهم مثلك ، لا أنهم أصحاء . . أكثر منك !

دانييل : على الأقل . . هناك واحد لا يتطرق اليه الشك .

الدكتور : رئيسك ؟

دانييل : بالضبط .

الدكتور : لعله يعانى من الأرق . . أو أوجاع المعدة !

دانييل : ليست لديه أوجاع .

الدكتور : حسنا ، لن نختلف من أجل هذا ، متى وضعت يدك للمرة الأولى على سجين ؟

دانييل : (بضيق) منذ سنوات طويلة

الدكتور : هل تذكر أول واحد ؟

دانييل : نعم ، ولم أندم على ذلك أيضا ، كان نذلا قد اعتدى على طفل صغير .

الدكتــور : طبعا ! أظن انه من السهل على الانسان في بداية الأمر أن يتعلم احتقــار النــاس ، فمنهم المجرمــون والنصابون والسكارى واللصوص . . . ثم ينتقل بعدها إلى قسم آخر حيث يمارس تعذيب المعتقلين السياسيين لكن . . كى يصل إلى هذا لا بــد لــه من النضج السياسى !

دانييل : ان هؤلاء الارهابيين يستحقون الاحتقار أكثر من أى مجرم عادى .

الدكتــور : (بجفاء) ربما . . ولكن ينبغى أن تأخذ في اعتبــارك الاحتمال العكسى ، وهو أنك قد وصلت الى النضــج السياسى — كما تقول — لأنك كنت تقدر أنه في يوم من الأيام سينقلونك الى القسم السياسى . وكنت تخشى ألا تجرؤ على ارتكاب بعض الاعمال بدون تبرير ترتاح له نفسك . . ولو مؤقتا .

دانييل : (بمرارة) كل هذه التحليلات النفسية ليست الاغثاء !

الدكتــور : كما تحب ، لكن رأيى أنه كان من الواجب عليك أن تفكر جديا قبل أن توجه أول صفعة ، لانها في حقيقة الأمر هى نفس الشيء يا سيد بارنيس . . . وراء أول صفعة يأتى كل ما بعدها . . (صمت) لابد أنك تعرف بعض رجال البوليس ممن لم تمتد يدهم على انســان اطلاقا ، أليس كذلك ؟ لتكن صريحا !

دانييل : نعم ، ولكن . . .

الدكتــور : ها أنت ترى أنه ليس حتميا

دانييل : القسم السياسي شيء آخر

الدكتـــور : (بعد هنيهة) انه أيضا يتعامل مع مخلوقات بشريـــة !
(لحظة صمت)

دانييل : (بضعف) لماذا قلت انك لا تأمل في شفائي حتى ولو اعترفت بأنني قد ارتكبت شيئا لا مبرر له ؟

الدكتـــور : لأن ما حدث لا يمكن اصلاحه ، فانت لا يمكنك انترد لهذا الرجل المسكين رجولته ، ولهذا فقد قضيت أيضـــا على رجولتك ، قد يكون هذا من المتناقضات الغريبة ، ولكنها حقيقية ، شفاؤك يكمن في مرضك ، ولعله من صالحك . . . لكن . . مع ذلك . . (صمت)

دانييل : مـــاذا ؟

الدكتـــور : لا شيء ! لا يمكنني متابعة حالتك .

دانييل : انك طبيب ! . . .

الدكتـــور : الآن . . أنت تعرف جيدا كل ما يحدث لك . . ولـــو كان هناك أحد يستطيع أن يحل مشكلتك فهو أنـــــت نفسك . . . لا أنا . . . علما بأنني لا أظن انك ستستطيع حلهـــا .

دانييل : لكن لماذا لن تحل ؟ لمـــاذا ؟

الدكتـــور : (بينما ينهض وعلى اثره دانييل ينهض كذلك بتثاقل) كان يجب ان تدفع ثمنا غاليا لما فعلت . وها أنت تدفعه ! ولكي تكف عن دفع هذا الثمن ينبغي ان تدفع ثمنا آخر لا يقل عنـــه

دانييل : ما هـــو ؟

الدكتـــور : لا أدرى ، قد تكون محتاجا الى تحول كبير ، . . ربمـــا تضطر الى أن تهجر عملك الحالى ، او تبحث عن كفارة صعبة الأداء ، على حساب اعمال تقوم بها . . لا أستطيع حتى أن أتصورها ، فأنت لم تعد شابا صغيرا ، وليس من المحتمل ان تجروُ على المجازفة بتحطيم وسيلة رزقك . . وجزء هام من شخصيتك !

دانييل : انني أريد الشفاء !

الدكتـــور : انت تريد ان تدفع ، وقد اخترت طريقة الدفــــع ! وانا رجل شريف يا سيد بارنيس ، لا أستطيع انأتركك تزورنى مرة بعد الأخرى ، بدون فائدة ، فهذا يصبح سرقة ، ولا أريد أن أسلبك اموالك .

دانييل : (بعد هنيهة) لا . أنت تصرفنى لا ننى أثير اشمئزازك ، لكن هل انت متأكد بدورك من معرفة السبب في نفورك منى ؟ . . هيا ! اعترف أنت الآخر ! اعترف بأنك كنت تجادلنى وتثلب عملى كى تجرنى الى الحقل المعارض . . الذى هو حقلك !

الدكتـــور : لو كنت توجه لى هذا السؤال بصفتك البوليسية فلتتذكر أنك لم تأت الى هنا لتستجوب احدا .

دانييل : (وهو يضحك بعصبية) لعلك تعترف بأنك مستعـــد لتتغاضى عن بعض الاعمال . لو كان النظام الحاكـــم مختلفا في سياسته عن الحالى !

الدكتـــور : هذا لا يعنيك في شيء ، لكن اذا كنت تريد أن تعرف

الحقيقة فسأقولها لك : لا . لا أقبل هذه الاعمال تحت ظل أى نظام !

دانييل : (بعد لحظة تفكير مكتئب) من السهل على الانسان ان يقول هـذا ! طاب مساؤك يا دكتور . (يتوجه الى الجانب الايمن)

الدكتـور : تحذير أخير يا سيد بارنيس (يلتفت دانييل اليه) ربما يحدث في يوم من الايام أن تظن أنك قد شفيت ، نتيجة لقرار تتخذه وتعتقد حينئذ ان فيه الكفاية . . لكـن ، حاول ألا تخـدع نفسك ! وأكرر لك أن الثمن الذى لابد لك من دفعه يجب ان يكون فاحش الغلاء . . . والا . . فهذا الشفاء الظاهر لن يدوم .

دانييل : (بحقد) كم يجب عليّ ان أدفع لهذه الزيارة ؟

الدكتـور : لا شيء ، هذه المرة ، مع السلامة !

(يخرج دانييل بينما تعود السكرتيرة الى الظهور بحذر)
أعترف انى لم أكن حكيما ساعتها ، فخلال الايـام التالية ساورنى القلق من أن تستدعينى المخابرات وتعاملنى بنفس الوحشية كى أعترف بأية أكاذيب ملفقة ، فعندما يضعون في يد شخص مريض مثل هذا كل تلك السلطة يمكن ان ينتظر منه أى شيء . . . لكنه كان قد تكهـن الى حدما بالسبب . . لم أعامله بحكمة الطبيب المعالـج نتيجة للاشمئزاز العنيف الذى شعرت به تجاهه على التو ، ولم أتجاوز هذا الشعور الى العطف عليه الا بعد وقـت طويل . . . عندما رقت نفسى له كما رقت على هـذا الشقى الذى تحطم على يديه .

السكرتيرة : على يديه .

(قبل لحظات تزايد الضوء فى منزل عائلة بارنيس ، الآن يدق الجرس وتدخل مارى من الباب الأيسر وهى تنظر الى ساعة يدها ثم تتبعها الجدة وهى تحضر معها مفرشا ومناشف ، تشير الجدة الى مارى كى تذهب لفتح الباب بينما تهرع الى المنضدة المجاورة للأريكة وتترك فوقها المفارش ، ثم تلتقط اناء الزهور وتسرع بالخروج من الباب الأيسر)

الدكتـــور : بعد تأمل طويل . . أجدنى أميل الى ترك اى تعليق على الصراع السياسى أو أعمال الشعب التى كانت عندئذ والقارئ الذى يجهلها له مطلق الحرية فى أن يتصور ما يعجبه ، له أن يعتقد في أن الحق كان مع الثوريين أو أن يظن عكس ذلك ، أعرف أن هذا الموقف قد يتّهم بأنه تجريدى أو انه قـــد يعوق الفهم السليم للمشكلة ، فهما لا يمكن الوصول اليه الا بعد دراسة هذه الجوانب ، اما رأيى فهو على العكس من ذلك . . فكلما سكتنا عنهـا اتضحت في حقيقتها العارية كل التساؤلات التى تفرضها علينا هذه القصة ، تساؤلات ينبغى على كل منـــا أن يتأملها على مهل ، ليعرف مقدار ما لديه من نبل وشجاعة فى الإجابة عنها .

(الدكتور والسكرتيرة يخرجـــان من الباب الأيمـــن ، تعود الجدة بسرعة لتفرش المنضدة ، يسمـــع صوت مارى) .

مـــارى : (من الداخل) ما هذا يا بنت ؟ لقد أصبحت جميلة جدا.

(تدخل وفي اعقابها لوثيلا) بالرغم من أنني ألاحظ عليك بعض الشحوب ، نعم ، هل من جديد ؟

لوثيـــلا لا . . . حتى الآن (هى فتاة ما زالت صغيرة ، ذات ملامح وسيمة يعلو وجههـــا الجزع ، ترتدى ملابس متواضعة لكن أنيقة)

مـــارى : سترزقين حالا . . سترين ، هذه هى لوثيلا يا جدتى ، واحدة من تلميذاتى .

لوثيـــلا : (وهى تمد يدها مصافحة) كيف حالك ياسيدتى ؟

الجـــدة : تشرفنا يابنيتى ، اجلسى من فضلك ، سأعود فى الحال .

مـــارى : (توقفها) سأذهب انا يا جدتى .

الجـــدة : بل أبقى أنت (تذهب نحو اليسار)

مـــارى : اجلسى يا لوثيلا ! (تخرج الجدة)

لوثيـــلا : شكرا (تجلس على الأريكة والى جانبها مارى)

مـــارى : اذن فقد تزوجت ! . . كان هذا يبدو لك مستحيلا . حسنا ، كان يبدو لى أنا الاخرى مستحيلا كذلك . . وها أنت ترين ! ومن هو زوجك ؟

لوثيـــلا : هو . . . حسنا ، هو موظف في احدى المكتبات. لكنى . . لا أعرف كيف أبدأ معك الحديث .

مـــارى : (ضاحكة) حتى الآن لم تفقدى خجلك المعهود . . . . يا ذات الضفائر !

لوثيـــلا : انه يكبرنى بخمسة عشر عاما . . لكن . .

مـــارى : وما أهميه هذا ؟ كل ما تحتاجين اليه هو أن يكون طيب القلب .

لوثيـــلا : من هذه الناحية ، هو طيب للغاية .

مــارى : (تضحك وتقبلها) يسرني أن أراك سعيدة . . وكيف حالكما ؟ هل تعيشان في وفاق ورخاء ؟

لوثيلا : علينا أن نكافح ، أنا كمربية أطفال ، يعني . . . كنت أربى أطفالا ، ليس من السهل دائما العثور على مثل هذا العمل ، أما الآن فأريد ان ألتحق ببعض المحلات الكبرى (تدخل الجدة وبيدها صينية عليهـــا بعض الاشياء من الاغذية الخفيفة التي تتناول عصرا ، تنهض لوثيلا) .

الجـــدة : اجلسى يا بنيتى ، اجلسى !

لوثيـــلا : بعـــد اذنك (تجلس) ما كان ينبغى أن تتعبى نفسك يا أستاذتى .

مــارى : لا تناديني هكذا ، فذلك يجعلني عجوزا (تضع الجدة الصينية وتتقدم بعض الخطوات بحيرة)

الجـــدة : سأذهب أنا الى الداخل ، لابـــد أن لديكما ما تريدان التحدث عنه معا . . . (تبتسم وتخرج).

مــارى : هى صمــاء بعض الشيء ، أتعرفين ؟ . . وتفضـــل أن تتناول كوب لبن في حجرة المائدة أمام التلفزيون (تصب لها) تريدين قهوة ؟

لوثيـــلا : قليلا . . يكفى ، شكرا (مارى تصب اللبن) قطعتان من السكر من فضلك ! (تضع لها مارى قطعتى السكر كما تقدم اليها بعض « البسكويت »)

مــارى : جربى هذا « البسكويت » فهو لذيذ جـــدا ، أم أنك تفضلين الشطائر ؟

ليوثـــلا : قليل من « البسكويت » (مارى تضعه لها) شكرا . .
(يبدآن في تناول وجبة العصر الخفيفة) .

مـــارى : لن أسامحك في تجاهلى عند زواجك وعدم دعوتى ، أم أنك كنت حينئذ خجولا أيضا ؟

لوثيـــلا : وانت بدورك لم تخبرينى بزواجك .

مـــارى : بالنسبة لى . . . من حقى أن أخجل يا لوثيلا ! فأمامكن . . . كنت أشعر بأننى عجوز . .

لوثيـــلا : انـــت ؟

مـــارى : آه لو عرفت ! . . دعينى احكى لك أنا أيضـــا بعض همومى .

لوثيـــلا : (بحرج) استاذتى ! . . . أنا . .

مـــارى : مرة أخرى ؟

لوثيـــلا : لم أتعود غير ذلك معك

مـــارى : ستتعودين . . لكن ، لماذا لا تأكلين يا بنية ؟ (تقـــضم لوثيلا قطعة « بسكويت » ثم لا تلبث أن تتركهـــا ،) هكذا ! . . لسنا الآن تلميذة ومعلمة ، بل صديقتـــان سعيدتان ! هل أدركت ذلك يا لوثيـــلا ؟ . . . لا . . أنت لا تدركين ، فقد وصلتك الفرصة في الوقـــــت المناسب ، أما أنا . . . هل تعرفين أننى كان لى خطيب منذ سنوات بعيدة ؟

لوثيـــلا : لا . .

مـــارى : طبعا ، لم تكونى حينئذ الا طفلة صغيرة ، على آية حال . .

كنت أكبر كنّ بكثير . . ولكم تعذبت خلال سنوات طويلة يا بنيتي . . وانتن ايضا اشتركتن في تعذيبي !

لوثيـــلا : نحـــن ؟

مـــارى : كنت أراكنّ وأفكر . . انهن آخذات في النمـــــــو والنضوج . وسيتزوجن . . أما أنا فسأظل معلمة المدرسة . . انت لا تستطيعين تصور ذلك يا ذات الضفائـــر ! لقد قتلوا خطيبي في الحرب . . وكانت عندىأشواق مجنونة للحياة ، وعندما طلبت العمل في المدرسة كنـــت أظن ان هؤلاء الفتيات سيصبحن بناتي . . وأخذت تمر سنوات وسنوات . . وأنا الى جانب أبى المسكين . . . وعندما مات ، وجدت نفسى وحيدة . . وحيـــدة ، كنت أذهب الى بعض الحدائق العامة وبيدى كتاب . . أو أجلس في أول مقهى يصادفنى . . لم أكن أبحث عن شئ . . فأنا لم اعد فتاة صغيرة . . ثم كان . . أن تعرفت عليه عندما كنت جالسة على مقعد حجرى في حديقـــة عامـــة .

لوثيـــلا : أتعنين . . زوجك ؟

مـــارى : لاحظ أننى أبكى فاقترب منى ، كان رجلا موفقا . . سعيد الحظ مع النساء ، واعتقد انه تزوج منى رفقا بى . كان يقول لى : سأشفيك يا مريضتى الصغـــيرة . . ! ! لكننى كنت أقول لنفسى : لابد انه سيحبنى في نهايـــة الأمر (تنهض وتأخذ في التجول بالحجرة وهى مبللـــة العيون) والآن . . . عندما نجلس احيانا على نفس هذا المقعد يقول لى : ها أنت قد شفيت يا مريضتى الصغيرة

. . وننفجر في الضحك . . وقد رأيت الطفل الجميـــل الذى رزقنا به . . صحيح ان لدينا بعض المشاكل لكنها أيضا ستحل . . فلا يوجد شيء في الدنيا لست جديـــرة بتقديمه من أجل اسعاده !

(تنظر اليها) لم تأكلى شيئا ! !

لوثيـــلا : (منكسة الرأس)لا شهية لى للأكل !

مـــارى : (وهى تقترب منها باهتمام) ماذا جرى لك ؟ ألاحظ أنك غريبة الاطوار . .

(ترمقها لوثيلا ثم تصرف عنها النظر بارتباك شديد) .
أرجو ألا يكون السبب في شرودك هو ما أرويه لك !

لوثيـــلا : (بصوت متحشرج) أنا . . جئت لأطلب منك معروفا !

مـــارى : (تعود للجلوس بجانبها) معروف ؟

لوثيـــلا : لا أدرى الى من ألجأ . . استشرت أحد المحامين لكنـــه نصحنى ألا أفعل شيئا . . اذ ربما كان أسوأ .

. . (تنظر اليها بعذاب شديد)

مـــارى : ماذا جرى لك يا لوثيـــلا ؟

لوثيـــلا : لقد كنت دائما طيبة معنا ! . .

مـــارى : تكلمى !

لوثيـــلا : (بعد هنيهة) هل صحيح . . أن زوجك من المخابرات

مـــارى : (بحيرة) لكن . . ما دخل هذا ؟

لوثيـــلا : ان زوجى قد اعتقلته المخابرات يا سيدتى ! (تنظر اليها

ماری بدهشة) . . ربما تكونين . . قد سمعت زوجك يتحدث عنه . . اسمه أنيبال مارتى .

مـــارى : انه لا يكلمنى مطلقا عن عمله .

لوثيـــلا : اعتقلوه منذ اثنين واربعين يوما ، وحتى الآن لم يحيلوه الى المحاكمـــة .

مـــارى : لوثيلا . . . لا أستطيع ان أصدق أن زوجك واحد من هؤلاء الارهابيين . .

لوثيـــلا : (بتصلب) هذا يتوقف على ما نفهمه من كلمـــــة ارهابيين !

مـــارى : ماذا فعـــل ؟

لوثيـــلا : لا أعرف ، يريدون منه ان يعترف بشيء يقولون انـــه يعرفـــه .

مـــارى : وماذا تريدين منى ؟ . . أن أتكلم مع زوجى ليحيلـــوه الى المحاكمـــة ؟

لوثيـــلا : (تبتسم بحزن) هذا هو القانون . . لكنى أعرف انـــه لا جدوى من طلب ذلك . . كنت فقط أريـــد . . . (تنفجر في نشيج حاد) لقد اضطروا لنقله الى المستشفى منذ عشرين يوما .

مـــارى : لوثيلا . . . يا بنيتى ! (تأخذ بيديها)

لوثيـــلا : لا تسأليني كيف أعرف هذا ، لا ينبغى ان أقولـــه . . وأعرف ايضا . . انه غدا . . أو ربما اليوم بالذات . . سيحملونه مرة أخرى الى مقر المخابرات . . (لاتستطيع ان تتمالك نفسها وتنخرط مرة أخرى في نشيج حار)

مــارى : لا تبكى !

لوثيــلا : كل ما أطلبه . . . هو ألا يستخدموا معه كثيرا مـــن العنف بعد الآن . . ألا يعذبوه أكـــثر من ذلك ! !

(تخفى وجهها في صدر مارى)

مــارى : (بتأثر شديد تمسح على رأسها وهى ذاهلة) اهدئى من فضلك ، يا لوثيلا !

لوثيــلا : (تحاول التماسك) معذرة ! (تبتعد عنها)

مــارى : لا يا بنيتى ! . . هذا طبيعى (سكتة قصيرة) هل قلت انهم يعذبونه ؟

لوثيلا : نعم ! (تبكى) .

مــارى : لا تبكى . . أرجوك . . تريدنى أن تقولى نهم تركوه واقفا على قدميه بعض الساعات ، أو سلطوا عليه الأضواء وهم يستجوبونه ؟

(تنظر اليها لوثيلا بدهشة) .

لوثيــلا : لو كان هذا لما حملوه إلى المستشفى !

مــارى : ماذا تقولين ؟

لوثيــلا : طبعا ! (تنهض مارى وتأخذ في عبور الحجرة جيئـــة وذهابا بعصبية واضحة) .

مــارى : (تلتفت اليها) أعتقد انك صادقة يالوثيلا . . لكن لا أظن أنك تدركين مدى خطورة ما تقولين . . (بعذوبة) هيا . . فكرى قليلا في الأمر ، هل جئت إلى منـــزلى لتقولى لى ان زوجى يمارس التعذيب ؟

لوثيـــلا : أنا لم أقل . .

مـــارى : طبعا قلت هذا . . لكنى أسامحك لأنك مازلت طفلة . . ولأنك تمرين بأزمة . . واقبلى نصيحة من معلمتك القديمة يابنيتى . . لا تصدقي هذه الشائعات . . فلابد أن زوجك قد مرض ، ولهذا حملوه إلى المستشفى !

لوثيـــلا : (وقد استبدت بها الدهشة) معنى هذ أنك . . . لا تعرفين ما يحدث هناك ؟

مـــارى : مرة ثانية ؟

لوثيـــلا : (وقد تقطبت ملامح وجهها تنهض واقفة) أظن أنك انت الاخرى صادقة . .

مـــارى : سأغضب منك ياصغيرتى ، أنا أعرف زوجى جيـــدا وهو لا يكذب عليّ .

لوثيـــلا : لقد قلت من قبل انه لا يحدثك عن عمله .

مـــارى : لا يحكى عن تفصيلات . . لكنه لا يمكن أن يـــكون كما تتصورين (منفرجة لأسارير) ربما كانوا يتجاوزون حدودهم من حين لآخر بتوجيه بعض الصفعات ! . .

لوثيـــلا : (بعناد) انهم يحطمونهم .

مـــارى : لاتلفظى هذه الكلمات الفظيعة . . فربما كانوا يخضعونهم لنوع من التوتر الجسمى . . لا أكثر . . أو على وجه الخصوص لنوع من التوتر النفسى .

لوثيـــلا : هل تسمين هكذا التيار الكهربائى ؟ (تلتفت اليهـــا مارى وتحدجها بنظرة حادة ، ثم تذهب نحوها وتمسك

بذراعيها وتهزهما بعنف وان كان ذلك بطريقة ودية شبه عائلية) .

مــارى : انت تتجاوزين الحد يالوثيلا .

لوثيــلا : كما يضعونهم في حمام ماء حتى يوشكوا على الغرق ، مرة بعد أخرى . .

مــارى : (تجلسها بدفعة قوية) اجلسى (ثم لا تلبث ان تبتعـــد عنها باضطراب) معذرة . . لا أكاد أصدق انك أنت ايضا تنتمين إلى مجموعات التشهير . . . ماذا تجنون من وراء هذه التشنيعات التى تروجون لها ؟

لوثيــلا : حقا . . ماذا نجنى ؟ ألا تدركين اننا بهذا نعرض أنفسنا للخطر ؟ واننا اذا كنا نجرؤ على فتح فمنا بالرغم من كل المخاطر فلابد وان هناك أسبابا قوية !

مــارى : (تهرع لتجلس بجوارها) لا . لا يمكن ، فكرى قليلا ! هناك قوانين . . ومحاكم . . ولو كان هذا صحيحا . . لعرفه كل الناس يالوثيلا !

لوثيــلا : ولكن . . هناك أشخاص كثيرون مصرون عـــلى أن يظل هذا مجهولا . . وأشخاص آخرون . . يتجاهلون . . لا يريدون أن يعرفوا . . (تحول عينيها عنها) مثلك !

مــارى : (بعد لحظة صمت) اسمعى يالوثيلا ، ينبغى أن تعرضى نفسك على الطبيب !

لوثيــلا : (وهى تنهض) اسكتى من فضلك ، لم أكن أريد أن أصرح لك بكل شيء . . لكنك ترغميننى على ذلك ! لقد امسكونى أنا الأخرى . . أفهمت ؟

(تقوم ماري من مكانها ، أما لوثيلا فتخطو بضع خطوات باضطراب ظاهر) وضربوني بمنتهى القسوة ! (تأخذ في النحيب) واعتدوا عليّ أمام زوجي ! (تنتفض من البكاء) .

ماري : (ببطء) أنت تكذبين !

لوثيلا : (بعد أن تنظر اليها طويلا) ما كان لي أن آتي إلى هنا مطلقا ، وداعا ياسيدتي ! (تتناول حقيبة يدها)

ماري : (وهي تخطو نحوها بضع خطوات) انتظري ! (بحدة) هل تعرضين بأن زوجي . . يمكن أن يعتدي على معتقلة ؟

لوثيلا : (ببرود) زوجك لم يكن هناك . . سمعتهم يتكلمون عنه . وظننت أنه ربما تكونين زوجته عندما ذكروا اسمه الكامل وبالنسبة لي . . لم يستطيعوا أن ينالوا مني شيئا . . لكن لا أدري ما عساهم أن يفعلوه بالأخريات . (توجه لها ماري صفعة) بالمقارنة مع الضرب الآخر . . هذا لا يكاد يؤلم ! (تسحب ماري قبضة يدها المعتدية وتنفجر في البكاء) مم تبكين ياحضرة المعلمة ؟ . . . من الجهل ؟ (تنظر اليها ماري بقهر شديد) من هي الآن العجوز ومن هي الطفلة ؟

ماري : في حياتي لم أضرب تلميذة ، حتى لو كنت كذابة . . يؤسفني أنني ضربتك ، سأنسى زيارتك . اذهبي !

لوثيلا : (تلتقط حقيبتها) سأعرف الطريقة التي أجعلك لاتنسين بها !

مــارى : اسكتى . . الباب (تنظر نحو الباب المواجه للمشاهد) لقد قال انه لن يعود . . (يدخل دانييل) أنت ؟ لم أكن أنتظرك !

دانييل : لا أريد أن أقطع عليكما الحديث. سأذهب الى الداخل . . . مساء الخير يا سيدتى !

لوثيـــلا : لا تضايق نفسك يا سيدى فأنا ذاهبة الآن فورا .

دانييل : هل أنت التلميذة القديمة لزوجتى ؟ (يمد لها يده)

لوثيـــلا : (تصافحه في حياء) نعم يا سيدى .

دانييل : تشرفنا . . لا تذهبي من أجـــلى ! أرجوك ! فسأختفى الآن .

مـــارى : كانت ستمشى حقيقة يا دانييل .

دانييل : يوسفنى ذلك ، لكن ، عودى كلما استطعت وستكون زوجتى شاكرة لزياراتك .

لوثيـــلا : مساء الخير (تمضى نحو الباب المواجه)

مـــارى : سأصحبك . (تخرجان ، ينظر اليهما دانييل وهما تذهبان بفضول ، ثم يخرج مسدسه ويتأكد من زنـــاد الأمان فيه ويضعه على دولاب الكتب . تظهر الجدة من ناحية الشمال)

الجـــدة : أهلا بك يا بنى !

دانييل : أهلا بك يا أمى .

الجـــدة : (تذهب الى جواره) وأين الضيفة ؟

دانييل : خرجت . (يتبادلان قبلة) .

الجـــدة : لم تغب كثيرا ، هل ستبقى للعشاء ؟

دانييل : لا أعرف . (تعود مارى من الباب المواجه)

الجـــدة : ألا تريد أن تتناول شيئا ؟ هذا « البسكويت » ممتاز .

دانييل : شكرا يا أمى ! ليست لدىّ شهية

الجـــدة : آه ! . . يا الهى ! (تعيد كل شيء الى الصينية) .

مـــارى : (تحاول حملها) دعيها لى يا جدتى !

الجـــدة : لمـــاذا ؟

مـــارى : وكيف حال برامج التلفزيون .

الجـــدة : انها تكون مملة جدا في هذه الساعات . (تحمل الصينية وتقف فى مواجهة ابنها) وجهك متغير !

(تلتقط مارى المفرش والمناشف) .

دانييل : (يحتضن أمه بين ذراعيه) أنا بخير يا أمى . . لا تحضرى لى اية حبوب لاننى لست محتاجا لشيء ! !

الجـــدة : أتريد الخف ؟

مـــارى : سأحضره أنا (تذهب نحو اليسار)

الجـــدة : (تلتفت لتنظر اليها) هه ؟ . . آه !

(تمضى خلف مارى التى تخرج ، ولكن الجدة تتوقف عند الباب وتنظر مليا الى ابنها ثم تخرج ، يجلس دانييل على الأريكة ويشرع في خلع حذائه على مهل ، ولكنه يتوقف وينظر ناحية الباب المواجه للمشاهد كأنه يتذكر لوثيلا ، تعود مارى ومعها الخف الذى تتركه الى جواره وتلتقط الحذاء ثم تهم بالخروج)

دانييل : هذه الفتاة . . . وجهها مألوف لدى !

مـــارى : (تنظر اليه) لا أعتقد أنك رأيتها أبدا من قبل .

دانييل : (وهو يرتدى الخف) هل تكلم أحد بالتليفون ؟

مـــارى : طلبتنى زوجة بوثنر

دانييل : ماذا كانت تريد منك ؟

مـــارى : تلح علىّ فى أن نتزاور .

دانييل : هذا ما يجب ان تفعلاه .

مـــارى : ليست خفيفة الظل علىّ .

(تدخل الجدة وتحاول انتزاع الحذاء من يد مارى)

الجـــدة : هاتـــى !

مـــارى : (تقاوم) سآخذه انا يا جدتى (تحاول الخروج)

الجـــدة : (باصرار) هاتى ! (تنتزع منها الحذاء وتخرج به)

دانييل : وماذا قالت لك زوجة بوثنر أكثر من ذلك ؟

مـــارى : (بينما تحدق فيه النظر) تقول ان زوجها مريض

دانييل : مريض ؟

مـــارى : يصحو مذعورا ويصرخ بالليل (ينكس دانييل رأسه)
ها أنت ترى أن الجميع يعانون شيئا ما !

دانييل : (منتفضا) ماذا تقولين ؟

مـــارى : لا بد أن عملكم مرهق للغاية .

(يعود دانييل ليهرب بنظراته ويبدو على مارى نوع من

التردد ، تريد أن تتكلم ولكنها لا تحزم أمرها ، تدخل الجدة وفي يدها أشغال الصوف) .

الجـــدة : دانييليتو الصغير يحلم مع الملائكة . ألا تدخل لتراه ؟

دانييل : الآن !

(تجلس الجدة على الأريكة ثم تخرج جراب نظاراتها الطبية وتضعها على عينيها كي تبدأ في الشغل وهي تسارقهما النظرات من حين لآخر)

مـــارى : (تتكئ على حافة المكتبة) أنت لا تحدثنى أبدا عن تفاصيل عملك !

دانييل : انها لا تسر .

مـــارى : (كما لو كانت تتحدث عن شئ عابر) هل تضطرون لضرب المعتقلين ؟

دانييل : لا مفر أحيانا من الضغط عليهم بعض الشيء .

مـــارى : آه ! . . فهمت ، على أن الكثيرين يبالغون جدا في تصوير ذلك (ينهض دانييل ويشرع في المشى) الى أين تذهب ؟

دانييل : سأكتب مقالا للمجلة

الجـــدة : الى أين تذهب؟ (يبتسم لها دانييل دون أن يرد ويمضى نحو اليسار ولكنه يلتفت قبل أن يخرج)

دانييل : مارى ! (تنظر اليه وهو يخطو نحوها بضع خطوات بينما تنظر اليهما الجـــدة) لماذا جاءت هذه الفتاة هنا ؟

مـــارى : بعد كل هذه السنوات ، كانت تريد أن ترانى !

دانييل : تذكرت الآن أين رأيتها ، في صورة محفوظة بمقـــــر الرئاسة (تكف ماري عن النظر اليه وتتقدم نحو الأمام) ماري ! . . لا تعودى لا ستقبال هذه المرأة !

(تجلس ماري منهكة على المقعد المجاور للتيليفون)

مـــارى : لا أظن انني سأفعل ذلك .

دانييل : (يقترب منها) هي التي حدثتك عن معاملة المعتقلـــين أليس كذلك ؟

مـــارى : لقد كذبتها .

دانييل : عمن . . كلمتك ؟ عن زوجها ؟

مـــارى : وعن نفسها أيضا

دانييل : لا أظن أنها كلمتك عنى ، فقد كنت في الجنوب عندما قبضوا عليها .

مـــارى : بالضبط . . قالت انك لم تكن هناك عندما قام زملاؤك بالاعتداء على عرضها

دانييل : أقالت هـــذا ؟

مـــارى : (وهى تبتسم بطريقة عصبية) ها أنت ترى ! (يبتعد عنها دانييل قليلا ، بينما يكتسب صوتها نبرة حـــادة) هل تستجوب أنت أيضا النساء يا دانييل ؟

دانييل : (يلتفت اليها بغضب) أنا لا أفعل هذه الاشياء يا ماري !

مـــارى : (بينما تقوم) وزملاؤك ؟ (تنظر اليهما الجدة)

دانييل : بعضهم . . انهم حمقى للغاية .

مـــارى : اذن . . هى لم تكذب ؟

دانييل : (بضيق) سأشرح لك الأمر .

مـــارى : (تقترب منه وتمسك بذراعيه) قل لى الحقيقة . . يبدو أنها كانت صادقة . . ! جاءت ترجونا . . ألا تعذبـــوا زوجها أكثر من ذلك .

دانييل : (مشيرا الى الجـــدة) اسكتى !

(يبتعد عنها باضطراب شديد ، يتبادلان النظرات على بعد ، تنهض الجدة وتخرج من الباب الأيسر دون أن تنظر اليهما بينما ينظران هما اليها بضيق)

ربما تكون قد سمعتنا ! (يقترب من الباب ويســـتر ق السمع) او لعلها ذهبت تحضر جهاز سمعها .

مـــارى : (بصوت هادئ) أيمكنك ان تفعل شيئا من أجل هـــذا الرجل ؟

دانييل : انه وحده الذى يستطيع ان يساعد نفسه ، فهو لا يريد ان يتكلم .

مـــارى : وماذا تفعلون فيه ؟ الى اى حد تصلون ؟

دانييل : (يلتفت نحوها) إنهم مجرمون . . ولابد أن يعترفوا !

مـــارى : (بفزع) إذن . . هذا صحيح !

دانييل : (يخطو نحوها خطوة واحدة) ليس بالشكل الـــــذى يزعمون يا مارى !

مـــارى : (وهى تقترب منه) أفعلت أنت شيئا فيه ؟

دانييل : (ساخطا) هذه المرأة لا يمكن ان تعرف شيئا . . كل ما قالته لك أكاذيب او مبالغات (بدون أن ينظر اليها)

ماري ! . . . ينبغي عليك ان تصدقي . . . زوجك ، فلو كانت قد زعمت لك أنهم اعتدوا على عرضها . .

مـــاري : قالت انهم اعتدوا عليها .

دانييل : هذا شيء آخر ، فربما كانت قد تعرضت لنوع مـــن الجرأة الوقحـــة . . هل قالت لك انني فعلت شــــيئا في زوجهـــا ؟

مـــاري : لا .

دانييل : أترين ؟

مـــاري : (ترتمي في أحضانه وهي تنشج بالبكاء) أنا أصدقك . . أصدقك . . . ! (يدق الجرس فيبتعد عنها بقلق وهي تنظر اليه بينما تخطو نحو الباب المواجه)

دانييل : ماري ! (تتوقف) لا أعتقد انه من الرئاسة . . لكن على احتمال ذلك . . قولي انني قد اعتكفت في الفراش . . او ذهبت الى الطبيب عندما شعرت ببعض التعب . (تنظر اليه باستغراب ودهشة بينما يخرج من الناحيـــة اليسرى ، تذهب ماري نحو الباب المواجه للمشاهـــد وتخرج منه ، يدق الجرس مرة ثانية ، بعد قليل تعـــود ومن خلفها مارسان الذي يأتي متدثرا بالمعطف وبيـــده قبعـــة) .

مـــاري : أنا آسفة ياسيد مارسان ، لقد جاء يرتعش . . ثم أوى إلى الفراش

مارسان : (ينظر باسما إلى كل ما حوله) أعرف هذا ، فقد

أخبرنا انه لا يستطيع الحضور هذا المساء . . حسنا . . أظن أن طبيبنا سيأتى ليكشف عليه ، أيمكننى أن أراه !؟

مـــارى : انه نائم . .

مارسان : (ضاحكا) ياله من محظوظ !

(يعبر الحجرة متجها إلى المقعد المريح) لو أعطيتنى كأسا ياسيدتى أكون لك شاكرا وممتنا . . فالواقع انى محتاج اليها جدا .

« يجلس بمنتهى الارتياح واللامبالاة)

مـــارى : (ببرود) لكننى كنت أستعد حالا للخروج !

مارسان : (وهو ينهض) هذا رائع . . اذن . . اسمحى لى أن أرافقك !

مـــارى : (بضيق) هل تعتقد أن هذا شئ لائق

مارسان : (يقترب منها) ولم لا لست ممن يلقى بالا للأوهام والمزاعم .

مارى : اما أنا . . فنعم .

مارسان : وهل تخضعين لها كثيرا ياسيدة بارنيس ؟

مـــارى : ماذا تعنى بذلك ؟

مارسان : (وهو يقترب منها أكثر) لا يمكن لك أن تتصورى مدى سعادتى لو لم تخضعى لهذه الاعتبارات !

مـــارى : (وهى تبتعد قليلا عنه) لا أفهم قصدك .

مارسان : أعرف انك تفهمين ، فأنت تدركين مقصدى منذ اليوم الأول الذى جئت فيه إلى هذا المنزل .

مـــارى : اسمع ياسيد مارسان . . من فضلك اخرج من هنا فورا .

مارسان : (يتهدج صوته) لن الحياة لا تجود علينا الا بقليل من المتعة الحقيقية يا مارى . . واياك ان تزعمى أنك سعيدة مع زوجك ، فهذا لم يحدث على الاطلاق (يتقدم نحوها) .

مـــارى : (وهى تتقهقر) اخرج من هنا !

مارسان : يوجد فيك شيء . . لا يقاوم . . شيء ليس لدى الأخريات !

مـــارى : أنا لا أسمح لك أن تأتى إلى بيتى وتجرؤ علىّ .

مارسان : (بحدة) أنا عنيد جدا ياماري . . وستراجعين نفسك .

مـــارى : اخرج من هنا فورا !

(يدخل دانييل وينظر اليه شزرا) .

دانييل : انتظر ، سنخرج معا . (صمت رهيب)

مارسان : ألم تكن نائما ؟

دانييل : أشعر الآ ن بتحسن .

مارسان : (ينفجر فجأة في الضحك) لا تقلب وجهك هكذا يا أخى . . كنت أداعب زوجتك لانى أعرف انك تسمعنى وستخرج للقائى . . ألف معذرة ياسيدتى !

دانييل : مارسان ! أنت تعرف أننا لا يمكن أن يضرب أحدنا الآخر مثل المتشردين في الحانات ، وعلى رئيس القسم باولوس أن يحل الاشكال .

مارسان : (ببرود) ربما كان من الأفضل لك أن لا تذكر شيئا

« لبابا » حتى لا أقول له بدورى ما كنت تحاوله من التهرب من العمل ، لا أريد السعى في أذاك ! ! كان هدفي أن اجعلك تعود معى لمقر الرئاسة . . وهذا يكفى

(يزداد الضوء في مكتب المخابرات)

دانييل : (يخطو نحوه بغيظ) أنت تكذب !

(إلى أعلى . . يدخل رئيس القسم باولوس من الباب المواجه للمشاهد وينتظر متكئا على المنضدة)

مارسان : صحيح ؟ . . اذن سنحكى كل شيء لباولوس . . . وسنرى من ذا يصدق .

دانييل : (يتمالك نفسه ، يذهب نحو المكتبة ويتناول مسدسه) هيا بنا إلى القلام ! (يتجه نحو الممر)

مـــارى : انه مريض حقيقة ياسيد مارسان !

مارسان : لا أشك في ذلك ياسيدتى ، مساء الخير . . ومعذرة مرة أخرى .

(يمر أمام دانييل ويخرج ، تهرع مارى إلى جانب زوجها بكرب شديد ثم تقبله بحرارة)

دانييل : وداعـــا !

(يخرج بدوره ، تعود مارى إلى حافة المسرح وقد ظهرت على وجهها امارات الارهاق ثم تتكئ على المقعد بذهول ، يصعد إلى المكتب العام كل من بوثنر ولويخى من السلم الأيسر وهما يقودان مارتى الذى يسير بصعوبة ويرتدى الآن « جاكتة » ، يبدو على

على مظهره قليل من التحسن ، لكن تغيير وجهه الآن ينم على عدمية مطلقة ، يتأهب بوثنر لينزع عنه القيود).

باولوس : لا تخلع من يده الاغلال .

لويخـــى : اسمع كلامى يا « ريس » ، المغسل والتيار في نفس الوقت ، هذا لن يطيقه .

باولوس : (يقترب من مارتى) ماذا تظن نفسك يا أحمق ؟ هل تعتقد أنه لا يوجد أسوأ من ذلك ؟ أنت اذن مخطىء وتخدع نفسك . . فلست الآن الا مزقة رثة لا تستحق الا أن تلقى في القمامة . . هل ستتكلم أم لا ؟

(لا يبدى السجين حراكا ، يبدو كما لو ان مـــارى تحدس بالمنظر البعيد بالرغم من انها لا تسمع شيئـــا مما يقال بطبيعة الأمر ، تحاول بحركة مفاجئة ان تنفض عن ذهنها الفكرة المتسلطة عليها فتمضى نحو وسط الصالة ثم تتوقف من جديد) .

بـــوثنر : نبدأ عندما تريد ياسيادة الرئيس .

باولوس : (وهو ينظر إلى ساعته) . لقد تأخر مارسان .

لـــويخى : ها هو صاعد . . (مارسان ودانييل يصعدان على السلم المتنقل من الناحية اليسرى)

مارسان : مساء الخير ياسيادة الرئيس ، ها نحن هنا !

(يمضى ليترك معطفه وقبعته على المشجب ، أما المعتقل فيمعن النظر في دانييل الذى يزوغ ببصره) .

باولوس : خذاه . . أنتما الاثنان إلى الداخل !

(يخرج بوتنر ولويجى وبصحبتهما مارتى من البـــاب المقابل ويغلقانه خلفهما ، يتحرك دانييل ويضع قبعته على المشجب كذلك) ماذا بك يادانييل ؟ يلتفـــت دانييل بحيرة .

مارسان : (يبادر بسرعة) انقباض نفسى ، لكنه قال انه يشعر الآن بتحسن وأصر على المجىء !

(تخرج مارى نافرة من الناحية اليسرى ، يتلاشى الضوء من منزل عائلة بارنيس) .

باولوس : اذهب بعدما ننتهى إلى الدكتور كليمينز ليكشف عليك ، هيا بنا !

(يمضون نحو الباب المقابل ، يدق جرس التليفـــون فيتناول باولوس السماعة آلو . . نعم . . يادكتور لقد أحضرت مارتى للتو إلى هنا . . هذا من شأنى . . ألا ترى ذلك ؟ . . طيب ! . . سنكون حذرين ! . . نعم نعم . . أنا أعرف أنك تنصحنى لصالحى الشخصى . . يظهر الدكتور بالمى قرب حافة المسرح اليسرى وبصحبتـــه السكرتيرة التى تمسك بيدها دفترا وقلما وتقف إلى اليمين . . الدكتور يمسك بيده كتابا ذا تجليد عـــادى ويعبث به دون وعى) .

حسنا . . شكرا . . مع السلامة . يضع باولوس السماعة ويفرك عينيه بأطراف اصابعه دون وعى أيضا ثم ينظر إلى دانييل (كيف حال والدتك ؟

دانييل : بخير ياسيدى ، وشكرا جزيلا ، تبعث لك بسلاماتها .

باولوس : شكرا .

(يفتح الباب المقابل ويخرج منه وعلى أثره مارسان ودانييل ، يغلق الباب ويتسلط عليه ضوء قوى بينما تنغمر بقية اجزاء المكتب العام في ضوء خافت ، ثم يتزايد الضوء على مقدمة المسرح .

الدكتور : ومن خلف هذا الباب ظلت تنبعث الصرخات طول الليل وربما كان هناك الآن أيها القارىء شقى آخر يصرخ من الداخل ، لكن فقدان الشعور يجعلنا صما مثل أم المريض الذى أحدثك عنه . (يعبر المنصة إلى الناحية اليمنى) . أما الابن فقد ظل يسمع الصرخات طول الليل ، لأنه كان واحدا من الذين يثيرونها . . . ومضت الساعات . (يصمت لحظة وينظر إلى الباب) حتى اقترب الفجر . . وعندها . . حدث شىء ما . . (يغمر الضوء مرة أخرى المكتب العام . . ينفتح الباب فجأة ويخرج منه باولوس الذى يهرع إلى التليفون ، يطلب رقما ما وينتظر ، يظهر أيضا لويخى) .

لويخى : انه سوء الحظ ياسيادة الرئيس! (في هذه الاثناء يدخل مارسان وبوثر وهما يقودان دانييل الذى أغمى عليه ، كلهم بدون « جاكتات » . . شعت الشعر ومرهقون) .

باولوس : دكتور كليمينز؟ . أيقظه من فضلك.. أنا المفتش العام باولوس (ينظر إلى المجموعة التى تتقدم نحوه) ألا ينتعش؟

مارسان : انه مثل المرأة الضعيفة .

باولوس : (بغيظ لا أسمح بتعليقات ! . . عندما أضع ثقتى في

أحد فأنا أعرف ماذا أصنع ! أتفهم ؟ احملوه !

مارسان : متمتما ستری وتقتنع ياسيادة الرئيس ! (يهبط مع بوثنر السلم المتنقل على اليسار وهما يسندان دانييل .

باولوس : اسمع يا كليمينز . . اصعد في الحال ومعك بعض المنبهات للقلب . . لقد ابتلينا بمحنة . . نعم . . نعم المعتقل . . . توقف نبضه . . اعرف انك حذرتني . . بسرعة من فضلك . (يضع السماعة ، ينظر إلى لويخى ويشير اليه بأن يتبعه ، يخرجان من الباب المقابل ثم يغلقانه خلفهما ، يتلاشى الضوء من المكتب) .

الدكتور : سبق وأن كتبت أن مرضى الحالة الاولى قد حكيت لهم هذه القصة الثانية بكل تفاصيلها ، ونحن نعرف ماذا كانت النتيجة . . كما ألححت عليهم أيضا بقراءة هذا الكتاب الذى تلقته زوجة المريض ذات يوم (يتصفح الكتاب الذى احضره معه) . . . هذا اليوم كان حاسما ، فبعد الحادثة الخطيرة التى وقعت في مقر رئاسة القسم السياسى منحوا مريضى اسبوعا للراحة ، وقد وصل الكتاب قبل انتهاء اجازته بيومين . يعود الضوء ليغمر منزل عائلة بارنيس ، بينما يجلس الدكتور بالمى وسكرتيرته في ركنهما الذى يسوده الظلام . يبدو دانييل جالسا على المقعد المجاور للتليفون ومتدثرا بعباءة منزلية ، يقرأ صحيفة وان كان يبدو عليه الذهول . تدخل الجدة من الباب الأيسر وبيدها بعض اللفائف المبلولة التى تضعها على جهاز التدفئة لتجفيفها ، بعد هذا تنظر إلى ابنها الذى لا يحرك ساكنا) .

الجـــدة : لا تستطيع الرؤية هكذا !

دانييل : ايه ؟ . . لم أكن أقرأ .

الجـــدة : لقد حل الظلام . (تذهب الى المصباح وتوقده ثم تضع النظارة على عينيها وتخرج من جيبها الأمامى ورقـــة سميكة كانت مطوية وممزقة وتفحصها قرب الضوء)

دانييل : (وهو ينظر الى ساعته) الساعة الثانية وعشر دقائـــق ! (يقذف بالصحيفة مغيظا على المنضدة فتذهب الجـــدة لتناولها ثم ينهض دانييل ويأخذ في عبور الحجرة جيئـــة وذهابا وعليه امارات التبرم والضيق) في أى ساعة خرجت؟

الجـــدة : (وقد وضعت يدها خلف اذنها لا ستجماع الصوت) قلت لك من قبل انها خرجت فور ذهابك لتنام القيلولة ، خرجت تشترى قمصانا لك .

(تذهب نحو الأريكة وتترك الصحيفة على المنضدة الصغيرة ثم تعود لامعان النظر في الورقة السميكة تحت الضوء)

دانييل : كنا قد اتفقنا على الخروج بعد العصر معا . . مثل كل هـــذه الأيام . . . (يذهب في أثناء ذلك الى دولاب الكتب بحثا عن أى كتاب) فيم تمعنين النظر ؟

الجـــدة : (تهز رأسها من حين لآخر) هذا الكتاب لم يكن مـــن أجلك ! (تنظر اليه)

دانييل : (يترك البحث في المكتبة) أى كتاب ؟

الجـــدة : الذى وصل صباح اليوم

دانييل : صباح اليوم ؟

الجـــدة : لقد كنت نائما ، أعتقد ان مارى قالت انه من أجلك .

دانييل : لم تقل لى أى شيء (يبحث في دولاب الكتب) ولا أرى هنا أى أثر لكتاب جديد .

الجـــدة : (باستهانة) لعلها حملته معها

دانييل : (وهو لا يكاد يصدق) لمـــاذا ؟

الجـــدة : انها غريبة الاطوار . . أنت تعرف ذلك

دانييل : (يذهب الى جانبها) أى كتاب كان هذا ؟

الجـــدة : هه ؟ . . لم أستطع رؤيته عن قرب . . ذهبت في الحال لترمى الورقة التى كان مغلفا بها . وبعد هـــذا لم أره . (تمد له يدها بالورقة) هذا هو الغلاف . (يتناولـــــه دانييل ويجلس تحت الضوء ليفحصه . يرفع رأسه فجأة وينصت السمع ناحية الباب المواجه ثم لا يلبث ان يخفى الورقة خلف ظهره ، تظهر مارى داخلة من البــــاب المواجه ومعها حقيبة يدها وصندوق مستطيل من الورق المقوى ، تتناول الجدة الصحيفة الملقاة على المنضــــدة وتدور حولها ثم تذهب لتجلس الى جوار ابنها) .

مـــارى : معذرة يا دانييل ، أعرف انى تأخرت كثيرا .

(تترك الصندوق على المنضدة وتعبر المكان لتضع حقيبة يدها فوق المكتبة) أهلا بالجـــدة !

(تعود لتقف الى جوار الصندوق الصغير (هل تريد أن ترى القمصان ؟

دانييل : فيما بعد ، لماذا تأخرت هكذا ؟

مـــارى : قابلت صديقة قديمـــة ؟

دانييل : من هى ؟

مـــارى : لا تعرفها ، دعتني لتناول وجبة العصر معها ولكن الوقت سرقنا ، سأذهب لروئية الصغير .

(تخرج ومعها الصندوق من الناحية اليسرى ، يخـــرج دانييل ورقة الغلاف ويضعها تحت الضوء) .

الجـــدة : (بصوت هادئ) مكتوب عليها السيدة بارنيـــس ، أليس كذلك ؟

دانييل : نعم ، ولا يمكن قراءة اسم المرسل (يضحك بعصبية) يا لها من أسرار ! (يطبق يديه على الورقة وهو مستغرق في التفكير ثم يمد بها يده الى أمه) .

الجـــدة : هل ألقيها في سلة القمامة ؟ (يهز دانييل رأسه بالموافقة بينما تخفي الجدة الورقة بين طيات ملابسها خفية وتنهض مستعدة للخروج) .

دانييل : أماه ؟

الجـــدة : هه ؟ . . ماذا تقول ؟ (ينهض دانييل بدوره ويقترب منها ثم يسر اليها في أذنها) .

دانييل : سترين أنها أشياء لا قيمة لها ، ولهذا فهى لم تحرص على ان تقولها لى . (بدون أن ينظر اليها) . هل يمكنك ان تؤدى لى خدمة بسيطة ؟ قولى لها ان تأتى الى هنا وابـــقى انت بالداخل !

الجـــدة : (باسمة) حاضر ! (تخرج ، أما هو فيذهب ناحيـــة المدخل ، يمسك حقيبة يدها للحظة قصيرة مفكرا في فتحها ولكنه يعدل عن ذلك ، يجلس على الأريكـــــة ويتناول الصحيفة ، مارى تعود) .

مـــارى : أتريد شيئا ؟

دانييل : كيف حال الصغير ؟

مـــارى : هادئ جدا ، يمكننا أن نخرج اذا أردت ؟

دانييل : لأى هدف ؟ لم تنفعنى بشىء كل محاولات النسيان !

مـــارى : (وهى ذاهبة نحو دولاب الكتب) لانك لم تكف عن التفكير . (تتناول حقيبتها وتعود على عقبيها) .

دانييل : ألا تبقين قليلا برفقتى يا امرأة ؟

مـــارى : انى . . .

دانييل : لا تريدين البقاء معى ؟

مـــارى : يالها من حماقة ! (تتنهد وتعود لتضع حقيبتها ثم تتناول أى كتاب وتجلس إلى جانب زوجها وتفتح الكتاب) .

دانييل : ماهو هذا الكتاب ؟ (مارى تريه اياه) هذه القصة قد قرأتها انت من قبل ، لماذا لا تقرئين الكتاب الذى تلقيته هذا الصباح ؟ (تنظر اليه وقد اشتد شحوب وجهها) ألم تتلقى أى كتاب ؟ (تزوغ ببصرها عنه) ألا تحبيين ؟

مـــارى : نعم ، تلقيته

دانييل : (بعذوبة) إلى أى حد بلغت بنا الأمور ياماري ؟ . . لا بأس على الاطلاق من أن يصلك كتاب ! الا اذا كان...

مـــارى : مـــاذا ؟

دانييل : هل عليه كلمات اهداء ؟ . . أحد المعجبين ؟

(تنظر اليه مارى وهى فاغرة فاها) لا تنظرى إلىّ هكذا في مثل موقفى . . . يجب أن نحلل بهدوء حتى هـذ الاحتمال (لا تستطيع مارى ان تكتم ضحكة عصبية وهى تمسح وجهها بيديها) لا تروقنى هذه الضحكة يامارى !

مـارى : الكتاب في الحقيبة .

دانييل : (بجفاء) شكرا . (ينهض ويذهب نحو دولاب الكتب)

مـارى : لقد قرأته باكمله في أحد المقاهى ، ولهذا تأخرت كثيرا . .

دانييل : (يفتح الحقيبة) من الذى أرسله اليك ؟

مـارى : لا أدرى !

دانييل : ستقولين لي عليه في حينه (يخرج الكتاب ، يقرأعنوانه) تاريخ موجز . . (ينظر اليها) ماذا ؟

مـارى : للتعذيب السياسى ، تاريخ موجز للتعذيب السياسى . لمؤلف أجنبي (يتصفح الكتاب بغلظة) وكما ترى . . يشتمل على كثير من الصور . . والوثائق . وهو تاريخ كامل إلى درجة البشاعة . . يصل حتى إلى أيامنا هذه .

دانييل : (وهو لا يتمالك نفسه) من الذى أرسله اليك ؟

مـارى : ألا تشك في أحد ؟

دانييل : هذا كتاب مثير للغثيان .

مـارى : ولكنه ملىء بالأداة والوثائق ، انه صادق !

دانييل : كيف يمكن نشر هذه الأشياء ؟

مـارى : بل كيف يمكن ارتكابها ؟

دانييل : انه أدب التهويل وخداع المساكين !

(يقذف الكتاب بغيظ على المنضدة ويبتعد بجفاء)

مـــارى : ليس لى من أحد غيرك يا دانييل وأريد أن أصدقك لن يكون بيننا كذب مرة أخرى . .أليس كذلك ؟ (تقوم وتذهب إلى جانبه) أنا أعرف انه لا يمكن أن تكون أنت قد فعلت هذه الاشياء ، ولكنك تراهم يرتكبونها وعليك أن تلزم الصمت ، أليس هذا ما يحدث لك حقيقة ؟ (تحتضنه) انظر إلى ! (ينظر اليها) هذه العيون . . نقية .. طيبة .. لا ، لست مثلهم ، لست بحاجة لأن تقول لى ذلك . . وإلا كنت قد عرفت كل شيء . لكن . . كيف استطعت التعاون مع هؤلاء الوحوش ؟ . . كان من الصعب عليك أن تهجرهم عندما أدركت حقيقة الموقف ، ياللك من مسكين ، ولكم تعذبت ! ! ونحن لا نخفى عن بعضنا شيئا سنظفر بذلك . . . (تنفجر في النحيب بين ذراعيه) سنظفر بذلك . . يادانييل !

دانييل : (بضعف) نحن نعيش في عصر رهيب ياماري ! وهم ليسوا الا أدوات التنفيذ . . فاذا كانوا مذنبين فكل المجتمع مذنب كذلك (يتخلص من يديها ويذهب إلى المقعد الكبير) .

مـــارى : (بدهشة) أتبرر أعمالهم ؟

دانييل : انهم لا يفعلونها لمجرد القسوة ، فعلى المسجونين أن يعترفوا . . (يجلس ويدفن رأسه بين يديه)

مـــارى : لكن . . بأية طريقة ؟

دانييل : عليهم أن يعترفوا .

مـــارى : بأكاذيب ؟

دانييل : (ينظر اليها) ماذا ؟ أكاذيب ؟

مـــارى : يجعلونهم يعترفون كذبا بأشياء لم يفعلوها !

دانييل : هل ورد ذلك أيضا في هذا الكتاب ؟

مـــارى : أجل .

دانييل : (بعد هنيهة) انهم يظنون أن . . هم أعداء . . ولا يمكن أن تأخذنا بهم رحمة ! . .

وما عدا هذا فلا يهم (فترة صمت ، تثبت عليه مارى نظراتها)

مـــارى : (وهى تلقى بظهرها على مسند المقعد) هذه هى عين القسوة يا دانييل . . الكتاب يقول ان التنكيل قد وجد في كل العصور ، لكن الهدف لم يكن فقط انتزاع الاعترافات .

هذا شيء شنيع ! . . هل تتصور . . ملايين مـــن المعذبين ، مابين عيون مفقوءة . . وألسنة منزوعة وخوازيق منصوبة . . يرجمون بالحجارة أو يجلدون بالسياط حتى الموت !

منهم من تقطع أوصالهم ، ومن تصلب أجسامهم ومن يدفنون أو يحرقون وهم أحياء .

ولم يكن هذا بهدف اجبارهم على الكلام ، بل كان لمجرد العقاب . . . كانوا هم الضحايا التى تقدم للآلهة . والآن نفس الشيء . . . آه . . ! لا أطيق حتى مجرد

التفكير في هذا ، ماذا يفعلون الآن في مقر رئاستكم ؟
(بحدة) الى أى إله رهيب تقدمون اليوم القرابين ؟

دانييل : مارى ! . . من فضلك . .

مـــارى : (وهى تشير إلى الكتاب بهياج شديد) هل تعرف قصة العجل البرونزى ؟ . . كانوا يحشرون انسانا بداخله ويشعلون النار من تحته ، وكان الثور يخور . . وهل تعرف قصة الفتاة البرونزية ؟ . . من الخارج على هيئة تمثال العروس . . . كان زفافا فاجعا يموت فيه العريس ببطء والاسياخ تخترقه في ظلمة هذا القبر المعدنى الرهيب .

. . . والأشياء الأخرى الكريهة المقززة التى كانوا يفعلونها في النساء ، أثداء تقطع وعفة تنزع ! (ينهض بتوتر) هذا هو الشر من أجل الشر ! . . وهذه هى نشوة الدماء الرغبة القذرة لتعذيب أناس لا حول لهم ولا قوة بمنتهى القسوة والجبن !

دانييل : وخلال عصور أخرى كانت المجتمعات بأكملها تقوم بهذا التعذيب ، كان الجميع أيضا مذنبين !

مـــارى : الجميع ،لا ، فقد وجد دائما من أدانه ، كما أن الكثيرين ، جدا حاولوا بجهد الطاقة تفاديه (بعذوبة)مثلك .متواطئ على الرغم منك . . ومثلى . . متواطئة عن جهل . . ولكن هذا سينتهى حالا يادانييل. . عليك أن تتركه . . غدا على الفور تطلب التقاعد . . وأعود أنا إلى المدرسة في هذه الاثناء . . وسنجد وسيلة أخرى لكسب العيش ، ألا تريد ذلك ؟ (ينمو الضوء في الجانب الأيمن حيث

يجلس الدكتور بالمى ممليا على سكرتيرته التى تجلس على الكرسى المجاور له . وعندما يتكلم يظل كل من مارى ودانييل بلا حراك على الاطلاق كأنما قد شلت ملامحهما وتجمدت اوضاعهما) .

الدكتـــور: آه لو أمكن ايقاف عجلة الزمن ! حتى ولو بالقدر الضرورى لكى نتأمل الاشياء ، لكيلا نندم على ما فعلناه بعد أن نكون قد أدينا الدور فعـــلا ، ففى نطاق العلاقات البشرية يعتبر الكذب هو الدودة التى تنخر الروابط التى تصل ما بين الزوجين ، ولعله حينئذ يكون من الأفضل أن لا تكتشف الحقيقة ، بعد أن تكون الروابط قد تآكلت بما فيه الكفاية . .وكطبيب كان علىّ أن أقول حينئذ لمريضى : لا تتفوه بكلمة ! لكن شوقه المستعر للاعتراف والانغمار في تيار الحنان الذى يتدفق من زوجته المسكينة . . كل هذا قد جرفه بموجه الكاسح،لان الزمن ليس إلا اندفاعاتنا. . الزمن هو نحن وليس من الممكن ايقافه .

السكرتيرة : ليس من الممكن ايقافه .

(يتلاشى الضوء من الجزء الجانبي في المسرح حتى يترك الدكتور وسكرتيرته في منطقة الظل .)

مـــارى : (مكررة) ألا تريد ذلك ؟

دانييل : (بعد لحظة وبدون أن ينظر اليها يقول بعصبية شديدة) لقد ذهبت لاستشارة الدكتور بالمى .

مـــارى : ماذا ؟

دانييل : في اليوم السابق على اجازتي ، وقد عثر على السبب فيما يحدث لى .

مـــاری : مرتجفة استمر .

دانييل : انه . . نوع من عقاب النفس ، فاهمة ؟

مـــاری : لتواطئك ؟

دانييل : بل لشيء أبعد من ذلك ياماری .

مـــاری : ماهو ؟

دانييل : كان بودی أن تكونى قد حدست به !

مـــاری : تكلـــــم !

دانييل : كان على أن أقوم بتنفيذ . شيء رهيب ياماری ، فزوج صديقتك لم يكن يريد أن يتكلم وباولوس أمرنى بأن اضغط عليه . . بطريقة مفزعة .

مـــاری : (وقد استبد بها الرعب) أنت !

دانييل : نعم ، أنا .

مـــاری : حتى أنت !

دانييل : نعم . (ماری وقد انهارت قواها تتكئ على مسند المقعد) .

مـــاری : ماذا فعلت فيه ؟

دانييل : اسوأ ما يمكن أن يفعل في رجل .

مـــاری : لا أفهم مادا تعنى .

دانييل : تصوری أسوأ شيء ، ولاننى فعلت هذا ، فقد تكفل

في داخلى بمعاقبتى . . وتركنى في نفس الحالة التى تركته فيها . . أو تكفل بهذا أحد ، لأنه يوجد انسان آخر في داخلنا ، يتولى عقابنا . . انسان آخر ! !

تكتم مارى اناتها الموجعة وهى تنظر اليه بعيون جاحظة ثم لا تلبث أن تجلس بصعوبة على المقعد وتغمض عينيها .

مارى ! . . اننى أستحق الاحتقار . لقد فكرت كثيرا في هذه الأيام ، وكل التبريرات لا تقنعنى انا نفسى . . لكن ما أريد أن أقوله لك هو اننى نادم الى أبعد الحدود ، ولا يمكنك أن تتصورى مدى الغثيان الذى أشعر به من نفسى .

(يخطو بضع خطوات نحوها ثم يتكئ على المقعد ويغمغم) ساعدينى على ان أكون هذا الانسان الآخر الذى يوجد بداخلى ، فليس لى أحد في الدنيا سواك .

(يتشجع قليلا ويمسك بيديها بينما هى مستغرقة في البكاء)

مـــارى : (بوهن وبدون أن تنظر اليه) اترك هذه المهنة !

دانييل : سأحاول دلك يا مارى ! لابد لى من عمل شىء كـــى أخرج من هذا الجب المظلم .

مـــارى : أمامك طريق طويل للتوبة .

دانييل : (باشفاق شديد هل تريدين أن تعيشيها بجانـــبى ؟ (تئن مارى وهى تخفى وجهها بيديها ، يبدأ في التناهى الى سمعنا صوت الجدة وهى تترنم بأغنية فينوس السابقة ثم لا يلبث ان يقترب . . يعتدل دانييل ثم يقطع الحجـــرة جيئة وذهابا محاولا تغطية الموقف . تدخل الجدة وتنظر اليهما ثم تذهب ناحية جهاز التدفئة) .

الجـــدة : دانييليتو الصغير مبلول جـــدا ، سأغير له اللفائف !
(تتناول لفافة وتتحسس مدى جفافها بينما ترفع ماري رأسها قليلا كان لابد من أن أغسل له ، واضع لـــه مسحوق « التلك » ، فقد التهبت اشياؤه من كثرة البول.
(تتأهب للخروج وفجأة تنفجر ماري اذ تجهش في بكاء متواصل يتزايد حتى يتحول الى صراخ تقشعر لــــه الابدان . يهرع دانييل الى جانبها بينما تتوقف الجدة) .

دانييل : مـــاري !

مـــاري : وفي الاطفال ايضا يا دانييل ! . . في الاطفال !

دانييل : ماري ! من فضلك .

الجـــدة : (تترك اللفافة) ماذا حدث لهـــا ؟

مـــاري : (تنهض وهي ترتجـــف) كانوا يلقون بالأطفـــال في الجحيم ، يحرقونهم أحياء .

دانييل : (وهو يمسك بها) ماري !

مـــاري : بينما كانوا يدقون على طبول ضخمة تغطي على صرخاتهم.

دانييل : هدئي من روعك !

مـــاري : (صارخة) آه ! لكي يكتموا صرخاتهم ! (تـــصرخ مرة أخرى)

الجـــدة : (ممسكة بها من الذراع الآخر) ماري ! ابنتي !

مـــاري : كيف كان يصرخ ، كيف كان يصرخ هذا الطفـــل وهم ينتزعون ما بين فخذيه في معسكرات الاعتقال !

دانييل : ماري ! ماري ! ! عبثا يحاول أن يسيطر عليها .

مـــاري : أمام أمــه !

(لا تزال تنبعث منها الصرخات الأليمة حتى تنهار فجأة ، يحملها دانييل بين ذراعيه ويخرج بها مسرعا من الناحية اليسرى . وفي نفس الوقت نسمع من بعيد لحن « ليالى شوبن » . تنظر اليهما الجدة باضطراب شديد وهما يخرجان ، ثم تنظر فيما حولها فترى الكتاب ، تقترب وهى تخرج منظارها ثم تضعه على عينيها ، تتناول الكتاب وتقرأ عنوانه ثم تقلب صفحاته حتى تتوقف عند صورة تتأملها . وبهدوء شديد تعود الى طى صفحاته ثم تركز بذهول نظراتها في الفراغ . تواصل السكرتيرة الكتابة بينما الدكتور ساكن لا يريم .)

ستار

★★★

الفصل الثاني

(يرتجف « البيانو » بأنغام « التويست » ويرتفع الستار عن المسرح وهو مظلم ثم يأخذ الضوء في انارة المكتب العلوى ، يصعد دانييل على السلم المتحرك من اليسار وعندما يرى انه لا يوجد أحد بالمكتب يتردد قليلا ثم يقرب من الباب المواجه يرهف السمع ، يهم بأن يفتحه ثم لا يلبث ان يعدل عن ذلك ، يجلس أخيرا على الأريكة ويشعل سيجارة بعصبية . سكتة . تكف عقبها الانغام المنبعثة من « البيانو » فجأة ويفتح الباب المواجه للجمهور تم يدخل منه باولوس ويغلقه من خلفه ، يقوم دانييل واقفا) .

باولوس : ها أنت قد عدت !

دانييل : طوع أمرك يا سيادة الرئيس .

باولوس : (وهو يمد له يده) كيف كان أسبوع الراحة هذا ؟

دانييل : (يبتسم بجمود) قصير !

باولوس : (يضحك ويذهب ناحية المنضدة حيث يضع عليها بعض الأوراق) لكنك عدت جديدا مثل الساعة ! . . . هه ؟ . . كم يسرنى هذا ! (يجلس ويأخذ في تقليب الأوراق أمامه) لعل والدتك بخير ، وزوجتك . . وابنك الصغير !

دانييل : كلهم بخير . . شكرا . .

باولوس جئت في الوقت المناسب ، فبولسكى لم يعد حتى الآن

من الجنوب وقـــد قمنا ببعض الاعتقالات الجديدة . . وصلت الينا بعض الانباء السرية من الخارج ونحن الآن نقترب من الرأس المدبر . (يقترب دانييل ويطـــفىء سيجارته في المنفضة) لكن . . اجلس ! (يجلس دانييل) نحن في أشد الحاجة الآن الى عملية ناجحة . . أتعرف ؟ فمحنة هذا الاحمق المسمى مارتى كان لها تأثير سيىء جداً في الأوساط العليا . . لكن . . (يبحث بين الملفات ثم يتناول حافظة) لعل من الافضل أن تقرأ هذا بنفســك (يعطيه اياه) ادرسه ثم عد هذه الليلة ! (يقوم واقفا وعلى أثره دانييل) انتبه جيدا لكل ما يتصل بشخـــص اسمه « جاوس » فهذا هو الرجل الذى سيعهد اليك به .

دانييل : هل اعتقل فعـــلا ؟

باولوس : طبعا . (يربت على ذراعيه بعطف) حسنا يا بنى ! ! ها أنت هنا مرة أخرى ، أتريد أن تحيي زملاءك ؟ انهم هنا في الداخل .

دانييل : سأراهم في المساء

باولوس : (وهو في طريقه للخروج معه) أنت عـــارف . . في الحادية عشرة بالضبط . . ومرحبا بك . (يتركـــــه ويتجه نحو الباب المقابل)

دانييل : (بصعوبة) يا سيد باولوس (يلتفت اليـــه المفتش في الحال وينظر اليه ببرود ، من الواضح انه كان ينتظـــر هذا النداء)

باولوس : ماذا تريد ؟

دانييل : كنت أريد يا سيد باولوس ان أطلب منك معروفا كبيرا

باولوس : وما هو ؟

دانييل : (يقترب منه) اسمع يا سيادة الرئيس . . لم أكد أستريح في هذه الأيام . . وما زالت حالتى سيئة ! . .

باولوس : لا يبدو عليك التعب !

دانييل : انى مرهق جدا .

باولوس : عندما كشف عليك الدكتور كليمينز لم يجد عندك شيئا ذا أهمية تذكر . . ما هو المعروف الذى تطلبه ؟

دانييل : لو أمكن أن تسمح لى با جازة . .

باولوس : لمــدة ؟

دانييل : مبدئيا . . لاجل غير مسمى ، حتى أسترد تماما حالتى الطبيعية ! (سكتة ، يفكر باولوس في الأمر ثم يذهب ببطء ليجلس على منضدته . . ومن هنا يرمقه بنظرات حــادة .)

باولوس : اجلس ! (يجلس دانييل ، ينظر باولوس الى ساعة يدة ثم الى الباب المواجه) منذ ستة شهور كان دالتون مريضا أتذكر ؟ كان عليه ان ينزل كل أربع ساعات ليأخذ الحقنة ، وكان يتمدد من حين لآخر على نفس هــذه الأريكة عندما تصرعه الحمى . . ومع ذلك لم يرد أن يترك العمل .

دانييل : انا لا أحاول ان أقارن نفسى بأحد .

باولوس : لكننى أفعل ذلك . . وأنت أحسن من دالتون . مــاذا

جرى لك ؟ . . لا تسمح بأن يخلو لهم الجو ! حاول ان تثبت لهم من أنت ، انا أفهم حالتك ! فأنت تمر بلحظة ضعف لا يبرأ منها أحد ، لكن لابد من تجاوزها والتقدم الى الامام ، تشبث بيدى حتى يسهل عليك ذلك. وبدون ان تبوح لأحد بأى شيء . . هه ؟ هذا سر فيما بيننا (ينهض) هيا . . لا تفكر في الأمر اكثر من ذلك، ادرس هذا والى اللقاء ليلا .

دانييل : (وهو ينهض بدوره) كم أنت طيب يا سيد باولوس ! أشكرك من كل قلبي ، صدقنى !

باولوس : (ضاحكا) كنت أعرف انك لن تخيب أملى فيك .

دانييل : على أية حال . .

باولوس : مـــاذا ؟

دانييل : حتى ولو لبضعة أيام فقط . . انظر الى يدىّ . . إنهما ترتجفان ! . . ربما كنت أضعف بكثير مما تظن . . (يعود باولوس للجلوس بتثاقل بينما يظل دانييل واقفا) .

باولوس : (بدون أن ينظر اليه) يمكننى ان امنحك هذه الاجازة عندما تكون الحالة اهدأ ، لكنك تعرف ان هذا الآن مستحيل ، بل ان الاسبوع الذى حصلت عليه كان علامة ضعف منى وانتقدت عليه بالفعل ! . . . . نحن قلة بالنسبة لما يجب ان نحبطه ونقضى عليه ، انا محتاج اليك ، فهل انت مصر على طلبك ؟

دانييل : صدقنى اذا قلت لك انه لا مناص لى من ذلك !

باولوس : (ينظر الى ساعته ثم الى دانييل) حسنا . . حتى الآن

كنت أكلمك كصديق . . ولكنى اوجه اليك الحديث منذ هـــذه الساعة كرئيس ، طلبك مرفوض ! تفضل بالانسحاب !

دانييل : (بعد لحظة) لا أعرف اذا كنت استطيع تحمل هذا !

باولوس : (مغيظا) لكن . . لماذا كل هذا العناد ؟ (ينهض) لابد أن ألفت نظرك الى شيء خطير ، في مثل هذه الاوقات عدم التحمل معناه التعاطف مع الاعداء .

دانييل : ماذا ؟

باولوس : تماما مثلما سمعت (يدور حول المنضدة ويذهب الى جواره) أتظن أننى لا أعرف ماذا جرى لك ؟ فجأة . . هؤلاء الحمقى يثيرون رثاءك ، لكنهم لو كانوا فى مكاننا لم يكونوا أقل قسوة ، ثم تأتى بعد ذلك لتتعاطف معهم

دانييل : تعرف سيادتك انى لا أفعل ذلك .

باولوس : أصبحت لا أعرف شيئا يا بنى ، فجأة ترى أنهم بشر ، ان هذا لم يكن ليحدث لك لو تذكرت ماذا يفعلون والخطر الذى يمثلونه بالنسبة للجميع ! . . وهكذا ينبغى ان تكون حذرا . . لا يمكننا ان نشمل بحمايتنا مرهقين ولا من يشتبه فى تماسكهم « صلابتهم » لانه يمكن ان ينشأ من بينهم حتى الخائنون !

دانييل : لا يمكن ان يصل الأمر الى هذا الحد ! فهما شيئان مختلفان تماما !

باولوس : أتظن ذلك ؟

(يقطع عليه الحديث الباب المواجه للجمهور اذ يفتح

ويدخل منه كل من لويخى ومارسان وهما بالقميص و « البنطلون » فقط) .

لويخى : معذرة يا سيادة الرئيس ! لقد اعترف الآن بأحدالعناوين وينبغى ان نذهب اليه في الحال !

باولوس : ألا تكون كذبة أخرى ؟

لويخى : لابد من التحقق !

باولوس : خذ معك دالتون (موجها الحديث الى مارسان) أما أنت فاستمر في الضغط عليه فما أكثر ما يكذب .

مارسان : سمعا وطاعة ! مرحبا بك يابارنيس ! (يخرج) ويغلق الباب وراءه بينما يتناول لويخى سترته الخارجية من على المشجب ويرتديها) .

لويخى : ما أسعدنى برؤيتك ! (يمد يده لدانييل) الى اللقاء فى المساء ، أليس كذلك ؟

(يربت على كتفه ويخرج مسرعا هابطا من السلم الأيسر ، اما باولوس فيأخذ فى فرك عينيه باطراف اصابعه وهو مستغرق فى التفكير ، ثم يخطو بضع خطوات الى الداخل ولكنه يتوقف ويلتفت اليه)

باولوس : ماذا تفعل هنا حتى الآن ؟

دانييل : كنت أقول لك يا سيدى انك فهمتنى خطأ . .

باولوس : لقد فهمتك جيدا ، وقلت لك حذار ان تغفل عن نفسك (يقترب منه ويخفض صوته) ليس بعيدا على أى أحد ان يجد نفسه يوما بين هؤلاء المعتقلين ، وها أنت ترى كيف نضطر الى معاملتهم بهذا الشكل . .

دانييل : (مذعورا) هل هو تهديد ؟

باولوس : على العكس ، فهأنذا مرة أخرى اتجاوز الحدود لصالحك لا أريد ان أراك يوما بين هؤلاء الاشقياء .

دانييل : لن يكون هناك اى داع لان ترانى بينهم . . اللم الا اذا اردتم افتراء سبب ما . . !

باولوس : افتراء ؟

دانييل : كنت أعنى . .

باولوس : ألا تلاحظ ان اسلوبك يشبه اساليبهم بشكل غريب عندما ينكرون ؟ . . انا مريض . . أنتم تختلقون . . .

دانييل : ليس الأمر سواء !

باولوس : اصحيح هذا ؟ (يتأهب للجلوس) اذن . . لا مانع لديك من ان تشرح لى لماذا كانت« لوثيلا مارتى » فى بيتك منذ ثمانية أيام ؟

(يتقهقر دانييل خطوة الى الوراء وقد الجمته الدهشة)

دانييل : أ أنت مجنون ؟ . . انها . . تلميذة قديمة لزوجتى ! !

باولوس : أعرف هذا .

دانييل : (يقترب من المنضدة ويترك فوقها الحافظة وهو يميل نحو المفتش) اذن . . عن أى شىء تتكلم ؟ جاءت تبحث عن شفاعة لزوجها !

باولوس : لم تقل لنا شيئا من ذلك !

دانييل : هذا شىء مضحك ! . . اذا لم يكن رجل البوليس واثقا من أنه فوق مستوى الشبهات فان أحدا لن يرغـــب في تحمل هذه المسئولية !

باولوس : على العكس ، انه لا يقوم بواجبه على الوجه الاكمل الا اذا أدرك أنه هو الآخر يمكن ان يشك فيه ! (ينهض ويذهب الى جانبه) خذ هذا في اعتبارك جيدا (يتناول الحافظة ويقدمها له) والآن . . خذ هذه الحافظة فأنا لم افقد ثقتي بك ، وكل ما يحدث هو أننا نراقب (يأخذ دانييل الحافظة) انك ستصبح من أحسن رجالنا يا بني ! الى اللقاء مساء !

(يخطو بسرعة نحو الباب المقابل ويخرج مغلقا خلفه ، يظهر الدكتور بالمي من الجانب الأيمن وقد ابتدأ الضوء في التسلط عليه ، يمسح دانييل وجهه بيديه ثم يشرع في النزول من على السلم الايسر ، يتلاشى الضوء من الجزء العلوى) .

الدكتور : لابد وأن المقابلة كانت هكذا بشكل تقريبي ، فهى لم تحكها لى ، وانما عرفتها ــ مثلها في ذلك مثل بعض التفصيلات الأخرى من القصة ــ فيما بعد ، اما هى فقد جاءت الىّ اثر عدة أيام تحدثنى عن أشياء أخرى . ولعل هذه الحالة أكثر شيوعا مما يعتقد الناس عادة : ياتى الينا المريض ويبوح لنا بطرف من أسراره . . ثم لا يلبث ان يأتى لا ستشارتنا الطرف الآخر في القصة ، وهذا كثيرا ما يساعدنا في العلاج ، لكن في هذه الحالة بالذات ، ماذا كان بوسعى ان أفعل ؟

(يتزايد الضوء على الجزء الجانبى ، تجلس مارى على المقعد الكبير ويقترب منها الدكتور) .

مارى : ارجو ألا أكون قد اتعبتك معى يا دكتور !

الدكتــور : (يجلس على الكرسي) لست متعجلا !

مــارى : لكنك لن تقول لزوجى انى جئت لرؤيتك ؟

الدكتــور : طبعا لا .

مــارى : ماذا استطيع ان أفعل يا دكتور ؟

الدكتــور : يمكنك التغلب على متاعبك الى حدما ، ولكنك تمريــن بمرحلة سلبية جدا . . متى شعرت لاول مرة بحاجتك الى الصراخ ؟

مــارى : عندما اعترف لى بما فعله .

الدكتــور : انت التى أوحت اليه بطلب الاجازة

مــارى : رجوته ان يطلب الاحالة الى التقاعد

الدكتــور : هل كنت تظنين انهم سيلبون رغبته ؟

مــارى : كنت أريد ان أطمئن الى دلك .

الدكتــور : هل جاءتك حالة الغثيان لاول مرة بعدما عرفت النتيجة؟

مــارى : لا . . كان هذا في اليوم السابق .

الدكتــور : اتنسبينها الى سبب محــدد ؟

مــارى : نعــم .

الدكتــور : حمل . . مثلا ؟ !

مــارى : لا . بالطبع لا . ولكنك تعرف ما الذى فعله !

الدكتــور : معنى هذا أنك تعقدين صلة بين هذا وذاك .

مــارى : هل أخطئ في ذلك ؟

الدكتــور : لا أظن . . ولكن لماذا لا تتابعين رواية ما كنت تحكينه

يا سيدة بارنيس ؟

مـــارى : في تلك الأمسية . . كنت انتظره وانا في منتهى توتـــر الاعصاب . وصل الى المنزل ساعة العشاء ولكنه كـــان عازفا عن الاكـــل . (تنهض واقفـــة) قبلهـــا . . كنت قد تكلمت مع والدته . . . (ينمو الضوء في المنزل فنرى على المنضدة اناء الزهور الفارغ . تذهب مـــارى ناحية الشمال ثم تلتفت) اذا كان من الممكن ان يسمى هذا كلاما ! ! (تصعد الدرج وتأخذ في عبور الصالة جيئة وذهابا وهى نافذة الصبر ، ينشر الظلام جناحيـــه على الدكتور . تنظر مارى الى ساعتها ثم تدخل الجـــدة من الناحية اليسرى ومعها اشغالها وبعض اللفائف ، تذهب الى جهاز التدفئة وتضعها عليه كى تجف بينما ترقبهـــا مـــارى) .

الجـــدة : لو لم اكن قد غسلت هذه لبقينا بدون لفائف !

مـــارى : لماذا تضعينها هنا ؟ قد يأتى أحد . .

الجـــدة : (لا تسمع) منذ أيام وقعت منى واحدة الى فناء الدار . . وظلت معلقة في نافذة الطابق الاول . . واضطـــررت للنزول اليه كى أحضرها (تشعل المصباح وتنظر الى اشغالها) بيت كأنه قصر ! (تجلس وتشرع في العمل) لم ألق منهم مقابلة حسنة . . . يبدو أنهم كانوا يقولون انه يجب نشر الغسيل بحرص حتى لا يسقط . . لكننى لم أسمع شيئا ! (تنظـــر اليها) أحيانا لا أســـمع ! . . أتعرفين ؟

مـــارى : جـــدتى ! !

الجـــدة : هـــه ؟

مـــارى : (بصوت مرتفع وهى تشير الى اللفائف) لماذا لاتضعينها على جهاز تدفئة آخر ؟

الجـــدة : (وهى تفتح فمها لتسمع كما هى الخاصة المميزة فـــى حركات الصم) جهاز تدفئة آخر ؟

مـــارى : نعم .

الجـــدة : هذا هو الجهاز الأقوى ، وهو يجففها قبل غيره . .

(تعد بصوت منخفض « غرز » شغلها بينما تواصل مارى تجوالها)

مـــارى : دانييل تأخر ! (تنظر الى الجدة التى تواصل عملها)

الجـــدة : (تترنم)

تنـــاول قرص فينـــــوس
واضحك من الألم التعيـــس!
ما أسعد العالم عندما وصـــل
كساحريهبالسعادة : فينو س

(فى هذه الاثناء تقترب مارى من اللفائف وتتحسسها لتعرف مدى جفافها ، تنقبض ملامح وجهها وهى تعود لتتقدم الى صدر المسرح مركزة نظراتها على الفراغ . . وبينما توشك الجدة على الانتهاء من أغنيتها تشعر مارى بموجة من الغثيان فتعود على عقبيها ناحية جهاز التدفئة ويأخذ جسمها فى التقلص ناحية الأمام ، تترك الجـــدة اشغالها وتقوم واقفة)

مرة أخرى ؟ (تذهب ناحيتها) هل أحضر لك شيئا ؟

مـــارى : لا يا جدة ، شكرا (تبتعد عنها ذاهبة الى المقعد المجاور للتليفون حيث تجلس عليه منهوكة القوى بينما تتبعها الجدة ببطء وقد استبد بها الفضول .

الجـــدة : هل . . تنتظرين طفلا آخر ؟

مـــارى : (تنظر اليها بفزع) لا ! !

الجـــدة : هه ؟ . . أظنه يأتى في الوقت المناسب . . ولعلها بنت . . حتى يكون عندكم زوج من الأطفال : : ولد وبنت ! (تهرب مارى بنظراتها وهى تنكر صحة هذا) ألم تقولى لدانييل ؟

مـــارى : أقول له ماذا ؟

الجـــدة : هه ؟ عن الدوار الذى يعتريك

مـــارى : (تنهض حانقة) لن احمل ابدا بطفل آخر يا جدتى . . على الاطلاق ! !

(تتنهد الجدة وتذهب الى الأريكة لتتناول شغلها بينما تعود مارى الى التجول بعصبية واضحة) .

الجـــدة : (وهى تجلس) ألا تهدئين ؟

(تنظر اليها مارى وتذهب للجلوس بجانبها بينما تواصل الجدة عد « عرزها » بصوت منخفض) .

مـــارى : جدة ! . . ربما حدث لنا شىء جديد

الجـــدة : شىء جديد ؟

مـــارى : لا يتعلق بما تفكرين فيه . . ربما ترك دانييل وظيفته !

الجـــدة : ماذا تقولين ؟

مـــارى : اقول يا جدة ان دانييل يريد ان يترك وظيفته (تكلمها بالقرب من أذنها) لقد ذهب بعد الظهر . . . اليــوم بالذات . . ليطلب هذا .

(تضع يدها على كتف الجدة) أيسرك هذا ؟ سأعود أنا الى عملي في المدرسة ريثما يبحث هو عن عمل آخر !

الجـــدة : أيترك وظيفته ؟

مـــارى : (وهى تهز رأسها بحمية علامة الايجاب) نعم ! (صمت)

الجـــدة : ألست انت التى ادخلت في رأسه هذه الافكار ؟ قولى الحقيقة !

مـــارى : يجب عليك يا جدتى ان تفهمى الموقف ، انه مريض . . لانه . . أصبح لا يطيق كل ذلك !
(تنظر اليها الجدة بعيون تجسم فيها الضيق والعذاب)
لا بد من أن نتفادى أن يحدث لدانييليتو نفس الشيء

الجـــدة : دانييليتو ؟

مـــارى : يجب أن لا يخرج دانييليتو الصغير مثل أبيه . . ينبغى علينا ـ نحن الاثنين ـ ان ننفذه من هذا المصير ، لقد وعدنى دانييل انه سيتركه . . ان شاء الله !

الجـــدة : لا أسمعك جيدا !

مـــارى : انهم هناك ياجدتى يرتكبون اشياء فظيعة ! (تهرب الجدة بنظراتها دون أن تستأنف اشغالها) معذرة . . اننى أشعر بوحدة موحشة . . لكنك ياجدتى تعرفين . . أنا متأكدة من أنك تعرفين كل شيء . . . . . فانت تعرفين باولوس المفتش منذ كان شابا . . (لحظة

(صمت) أو انك لم تكونى تعرفين ؟ . . هل حدث لك ما حدث لى ؟ . . اننى كنت لا أعرف

(صمت)

أو ربما انك لا تجرئين على تصديق ذلك ! لكنك انت التى ساعدته على التورط في هذا الموقف . . . وعليك أن تساعديه الآن على الخروج منه !

(الجدة تغرورق عيناها بالدموع)

أنا أفهم كل شيء ! . . . انه أمر محزن للغاية أن نرى أولادنا هكذا ونحن في نهاية حياتنا ! . . أنا أحبك يا جدتى ! (تحتضنها) سيساعد كل منا الآخر . . كى ننقذ دانييليشو الصغير ! على الأقل . . لكن . . ساعدينى . . ساعدينا ! !

الجـــدة : (ترفض بدون ان تنظر اليها) أنا لا أسمعك . . لاأسمع أى شيء . . ! لا . . أسمعك ! .

مـــارى : (تنظر اليها وتتمتم بدون أمل) يا الهى ! !

(تنهض وتذهب الى المقعد الكبير حيث تتكئ عليـــه ثم تلتفت لتنظر اليها ، اما الجدة فلم تتحرك من مكانها وان كانت الآن تلملم شغلها ببطء شديد قبل ان تعود لتستأنفه بصعوبة ، ترفع مارى رأسها اذ تسمع شيئا ما)

ها هـــو !

(يظهر دانييل من الباب المواجه للجمهور وبيده الحافظة)

دانييل : (يقترب من أمه ويقبلها) أهلا بك يا أماه !

الجـــدة : أهلا بك يا بنى (تواصل اشغالها)

دانييل : أهلا مارى !

(يتجه ناحية دولاب الكتب متفاديا نظراتها ويترك فوقه الحافظة ، ثم يمد يده الى جيبه الداخلى ليخرج « المسدس » ولكن نظره يلتقى عن غير وعى بنظرات مارى فيبتعد عن المكتبة وهو يزوغ ببصره دون ان يخرج السلاح . مارى ترمقه وهو يذهب الى الكرسى الموضوع على الجانب الأيسر من مقدمة المسرح ويجلس عليه ، عندئذ تخطو نحوه بضع خطوات ، وعندما يلاحظ دانييل انها تريد الكلام يقاطعها قائلا) .

أعطينى كأسا ! . . اذا أردت !

مارى : ألا تفرط في الشراب هذه الايام ؟ (تذهب نحو دولاب الكتب)

دانييل : لا يهمك ! . . لا أفرط !

مارى : (وهى تفتح الدولاب الصغير) ماذا تريد أن تشرب ؟

دانييل : من النبيذ المعتق .

(تندُّ عنها نظرات حادة الى الحافظة وهى تصب الكأس دانييل لا يخفى عليه ذلك) ألا تشربين معى ؟

مارى : (وقد داعبها الامل) هل حدث شيء نشرب نخبه ؟

(يبتسم وتصدر عنه همهمة مبهمة ، اما هى فتغلق الدولاب الصغير وتقدم اليه الكأس)

دانييل : شكرا ؟ (يشرب)

مارى : ماذا حدث ؟

دانييل : لقد خرجت بانطباعات طيبة ، . . سنتكلم فيما بعد

مـــارى : هيا بنا الى الداخل !

دانييل : نحن هنا على ما يرام !

مـــارى : لأن أملك هنا . .

دانييل : انها بدون الجهاز . . لا تسمع

مـــارى : ولكنها ترى .

دانييل : (ينهض ويخطو بضع خطوات) ما أشهى هذا النبيذ ؟ ألا تريدين منه حقيقة ؟

مـــارى : انت تعرف انني لا أريد !

(يذهب دانييل ناحية الدولاب الصغير ويفتحه ، ترفع مارى صوتها) ماذا حدث يا دانييل ؟

دانييل : لقد قلت لك . (يصب لنفسه كأسا أخرى)

مـــارى : لم تقل اى شيء ، هل وافقوا لك على الاجازة ؟

دانييل : اعتقد انني سأحصل عليها !

(يغلق الدولاب الصغير ويتكئ على دولاب الكتب وهو يشرب)

مـــارى : (وهى تخطو نحوه) انت تخدعنى !

دانييل : مارى ! . . هذه الأشياء لا يمكن الفوز بها في لحظة واحدة !

مـــارى : (وهى تعصر يديها) — رفضوا طلبك ! !

دانييل : انها مسألة أيام (يضع الكأس على حافة الدولاب)

مـــارى : (بيأس) يا الهى ! . . عونك ! (تواجه الجدة) ساعدينى يا جدتى !

(تنظر اليها الجدة برهة)

دانييل : (يتقدم نحوها خطوة) لا تحشريها في الموضوع !
(تحاول مارى السيطرة على نفسها فترجع مبتعدة الى الوراء)

مارى : أيجب عليك أن تعود هذه الليلة ؟

دانييل : نعم .
(تجلس مارى وهى مكتئبة على المقعد المجاور للتليفون، اما دانييل فيتناول كأسه ثم يذهب الى الكرسى الموضوع على الجانب الأيسر حيث يجلس بدوره)

مارى : هناك معتقلون جدد ؟ (تنظر الجدة اليهما)

دانييل : لا . (لحظة صمت)

مارى : ألا تكذب علىّ الآن أيضا ؟ (صمت) لقد خسرنا كل شيء ! !

دانييل : (يعبث بالكأس مكتئبا بدون ان ينظر اليها) مارى ! ! هل ترضين بان تعيشى بجانبى مثل أختى ؟

مارى : (تنظر اليه وهى مشوشة التفكير) خسرنا كل شيء !
(لحظة صمت ، دانييل يزفر بعمق ، ولكن الجدة التى كانت مستغرقة في الشغل تقطع حبل الصمت)

الجدة : هل كلفك السيد باولوس ، اليوم أيضا ، بابلاغ تحياته ؟

دانييل : هه ؟ (يتبادل الزوجان النظرات) نعم يا أمى !

الجدة : (وهى تستأنف شغلها) من الغريب اننا لم نتقابل من يومها ، كان من قبل في غاية المثابرة ، أما انت فلا تتذكر لانك كنت لا تزال . .

دانييل : (وهو ينهض) نعم يا أمى . (يذهب ليجلش إلى جانبها بينما تستمر هى في حديثها) .

الجـــدة : في غاية المثابرة ، وعندما مات والدك اتخذ موقفا يثير الاعجاب ، وقد كان هذا أقل ما يستطيع ان يعملـــه . . فلم تكن مواقفه السابقة طيبة ؟

دانييل : لم تكن طيبة ؟

الجـــدة : هه ؟ . . لم يغفر لنا أننا قد تزوجنا ، فقد كان يريـــد الزواج منى ، ولهذا استاء كثيرا حتى انه هدد بالانتقام ، كان حينئذ جلفا غليظ الطبع يشعر بالمرارة . . ثم دخل بعد ذلك في البوليس ولم نعد إلى رؤيته لمدة طويلة . لكن عندما مات أبوك بدأ يتردد علينا في المنزل من جديد ، اصبح لا يتكلم عن الزواج مع انني كنت لا ازال شابة جميلة ، حقيقة يابنى ! كنت جميلة . . رائعة الجمال ! وبالطبع أخذت علاقتنا تفتر ، لانه لم يحظ منى بـــأى شيء ، لكننى كلما امتنعت عليه كان يطاردنى أكثر حتى اضطررت ذات يوم إلى طرده . . وبعد مرور أعوام طويلة جاء يقول لى انه يستطيع ان يساعدك في الالتحاق بالأمن القومى . . حسنا . . كنت حينئذ قد فقـــدت كثيرا من نضرتى وكان من الواضح اننى لم أعد أهمه . وفي تلك السنوات كانت احوالنا قد ساءت . . ممـــا جعلنى اقرر قبول هذه الخدمة ! (سكتة طويلـــة ، مارى لم تفتها كلمة واحدة) ربما كنت تحب يابـــنى أن تكون شيئا آخر ! . . . ولكنك مازلت شابا ، واعتقد انه يجب عليك أن تفعل دائما ما تريد ، المهم هـــو ان

تكون سعيدا في حياتك . (ينهض دانييل ويضغط على يديها بتأثر ، أما هي فتلقى نظرة على شغلها ثم تنهض) . سأذهب لرؤية دانييليتو الصغير ، عسى ألا يكون راقدا في وضع غير مريح !
(تتجه إلى اليسار ثم تتوقف) انت لم تدخل لتراه اليوم ! هل تأتى ؟

دانييل : (واقفا) نعم يا أمى !

(يختلس نظرة إلى زوجته قبل ان يذهب لتناول الحافظة ويلحق بأمه ، أما مارى فتنهض قائمة وهى تنظراليهما) .

الجدة : ربما ترزقان له بأخت عما قريب ! . . هه ؟ (يتفادى الزوجان باضطراب ان ينظر أحدهما إلى الآخر ، دانييل يحتسى ما بقى في كأسه ثم يمسك بذراع امه في حنان) يابنى ! !

(يخرجان ، ترتمى مارى على المقعد الكبير وهى شبه ذاهلة ، يسلط عليها الضوء لحظة ريثما تعود الحجرة إلى الظلام ثم ينطفىء المصباح الذى كان يضيئها . ينهض الدكتور ويأخذ في الاقتراب منها) .

الدكتور : هل تحبين أن ترزقي بطفل آخر ياسيدتى ؟

مارى : لا ! لا ! !

الدكتور : هل أنت متأكدة ؟

مارى : (وهى مازالت لا تنظر اليه ، ذاهلة) الآن . . . كيف أرزق بطفل آخر ؟

الدكتور : تقولين هذا . . نظرا لحالة زوجك ؟

مـــاری : أريد أن أقول . . اننی لن أجرؤ ابدا بعد الآن على أن آتی لهذا العالم بولد آخر . . فقد لا يغفر لى ذلك

الدكتور : ماهو الشعور الذى يثيره فيك زوجك الآن ياسـيدة بارنيس ؟

مـــاری : لا أدرى ! . . أحيانا يبدو لى كأنه غريب . . . وأحيانا أخرى أشعر اننى اطفح بالحقد . . هذا غريب جدا . . لكنه في بعض اللحظات . .

الدكتور : ماذا ؟

مـــاری : أشعر برغبة قوية في الضحك منه .

الدكتور : أما زلتما تحاولان الاتصال الجنسى ؟

مـــاری : لا !

الدكتور : أنت التى لا ترغب ، أم هو الذى لا يريد ؟

مـــاری : لم يعد هو يلمح إلى شيء من هذا ، وانا أفضل الوضع هكذا .

الدكتور : اذن . . هل تشعرين بتقزز واشمئزاز منه الآن .

مـــاری : (وعليها دلائل نفاذ الصبر (من الصعب على أن أجيب على ذلك . . فقد . . أحببته بطريقة عمياء . . والآن لا أكاد اذوق طعم النوم ، أما هو فيغط في نوم عميـــق لأنه يشرب ، وفي بعض الليالى ، عندما أراه نائما بجانبى أفكر . . لم يحدث أى شيء ، اننى أعبده ! ! وتجتاحنى رغبة عنيفة في أن أوقظه واقبله . .

الدكتور : أحققت مرة هذه الرغبة ؟

مــارى : ذات ليلة . . . أيقظته ، لكننى ابتعدت عنه في الحــال وقمت أجرى لرؤية الطفل ، زاعمة أنه قد خيل إلىّ اننى اسمعه يبكى !

الدكتور : (بعد برهة قصيرة) هل ترين الآن أحلاما كثــيرة ياسيدتى ؟

مــارى كوابيس .

الدكتور : اتذكرين بعضها ؟

مــارى : نعم !

الدكتــور : يمكنك أن تحكيها لى ؟

مــارى : دعنى أتذكر . . آه ، كنت في المنزل ، جالســة على المقعــد . .

(يشع ضوء على الحجرة ، ينسحب الدكتور بحذر الى الناحية اليمنى المظلمة ويعود الى الجلوس في مقعــده)

دخلت حماتى ومعها الطفل . . . ثم

(تدخل الجدة من الناحية اليمنى وهى تدفع أمامهــــا سرير الطفل ثم تتركه قرب التليفون ، مارى توجـــه الكلام الى الجـــدة)

الجو بارد هنــا !

الجـــدة : شأشاهد التليفزيون ولا أريد له أن يصحو !

مــارى : (وهى تنهض) ربما أخذ بردا !

الجــدة : تعطينه قرصا (تخرج وهى تترنم)

تناول قرص فينوس

واضحك من الألم التعيس . .

مـــارى : (تقترب من السرير وتنحنى عليه) دانييليتا ! . . انها بنتى الصغيرة الحبيبة ، على أية حال ربما أخذت بـــردا (تسوى عليها الاغطية) هكذا . . مغطاة بعناية ، نامى ياصغيرتى . . نامى .

(يدخل دانييل من الباب المواجه للجمهور وبيده كتاب ، يبدو انه لا يراها ، أما هى فتعتدل) .

أهـــلا !

(بدون أن يجيب يذهب دانييل الى المكتبة ، يدس يده في جيوبه الداخلية ويخرج مقصا كبيرا يتركه هناك ثم لا يلبث ان يذهب للجلوس على المقعد للتليفون ويتصفح الكتاب ، تقترب هى منه) .

دانيليتا ستأخذ بردا !

دانييل : (بدون أن ينظر اليها) أعطينى المقصّ !

(تذهب مارى الى المكتبة وتمسك به)

مـــارى : لماذا اشتريته ؟ (تحضره اليه)

دانييل : (يتناوله ويفتحه) لأفض صفحات الكتاب

(يتظاهر بانه يفعل ذلك)

مـــارى : انها مفتوحة فعـــلا !

دانييل : (مبتسما) لقد اشتريته . . لنقص به شعر البنت عندما تكبر !

مـــارى : أتريد ان أشعل لك الضوء ؟ أنت لا ترى جيدا !

دانييل : نعم ، من فضلك .

(يأخذ في القراءة ، تقترب مارى من المصباح وتشـــد

الحبل المدلى منه فيضىء ، تتلوى مارى وتصرخ وقـــد سرى في جسمها التيار الكهربائى دون أن تستطيع نفض الحبل من يدها)

مـــارى : دانييل . . اننى أتكهرب . . رحمة بى !

(دانييل يواصل القراءة) دانييل ! ! (يلتفت وينظر اليها) أطفىء هذا النور حالا !

(ينهض دانييل بهدوء ويذهب اليها)

دانييل : لابد من قطع أصابعك .

مـــارى : ماذا ستفعل ؟

دانييل : لن تشعرى بالألم ! (يقص وهـــى تصرخ ، ينطفىء المصباح) لم ينبثق الدم !

مـــارى : (ناظرة الى اصابعها) لا !

(تتقهقر الى الخلف وهى تحملق فيه بعيون مفتوحـــة جدا . ثم مد لها يده بالمقص المفتوح)

دانييل : خذى ، يجب عليك ان تحفظيه أنت !

مـــارى : لا ! !

(يتقدم منها دانييل وهى تحاول التخلص بسرعة)

دانييل : إذا تحركت فلن أستطيع اعطاءه لك !

(يصوّب اليها طعنـــة لا تصيبها) .

مـــارى : (تتـــأوه وهى تبتعد) رحمة بى !

دانييل : تعـــالى !

مـــارى : (تتقدم اليه مادة دراعيها) اجرح ! اغرسه في جسمى ان أردت !

(يبتسم دانييـــل ، يذهب نحو جهاز التدفئـــة ويتناول اللفائف ثم يتوجه نحو سرير الطفل .

دانييل : ستحتاج اليه (يرفع غطاء السرير ويشرع المقص)

مـــارى : (تهرع اليه وتمسك به) لا ! لا تقربه !

دانييل : أنت تريدين طفلة ؟

مـــارى : (تجرى الى الناحية اليسرى وتنادى) يا جدة !

(تدخل الجدة في الحال)

دانييل : اشعلى الضوء يا أمى فأنا لا أرى جيدا .

الجـــدة : (وهى تتجه ناحية المصباح) افعل ما تريد يابنى !

مـــارى : لا تلمس المصباح !

(تشغله الجدة بهدوء ثم تعود)

الجـــدة : أترى الآن ؟

دانييل : الضوء أحسن في الداخل .

(يدفع السرير أمامه بينما تمشى الجدة بجانبه)

الجـــدة : اهدأ أنت يادانييليتو ، نم أنت بهدوء .. فسنعطيك القرص .

(تأخذ في الترنم بينما يختفى الاثنان إلى الجانب الايسر الايسر ومعها سرير الطفل المتحرك)

ما أسعد العالم عندما وصل
كساحر يهب السعادة ، فينوس

(يطفأ المصباح ويتلاشى الضوء السابق ، ثم لا يلبث ان يتزايد النور العادى على يمين المسرح ، تنهض

ماري بتثاقل ثم تمضى لتجلس على المقعد المجاور للدكتور ، سكتة) .

الدكتـــور : أرأيت احلاما أخرى مشابهة ؟

مـــارى : طيلة ليال كثيرة .

الدكتـــور : هل تفكرين فيها بشكل دائم ؟

مـــارى : لا أستطيع أن افكر تقريبا في شئ آخر .

الدكتـــور : هل كان كتاب « تاريخ التعذيب » هو الذى يقرأه في الحلم ؟

مـــارى : لا .

الدكتـــور : هل راجعت هذا الكتاب خلال تلك الأيام ؟

مـــارى : لقد اختفى من المنزل !

الدكتـــور : كيف هذا ؟

مـــارى : قرأه زوجى محاولا أن لا يثير انتباهى إلى ذلك وبعد هذا لم أعد إلى رؤيته !

الدكتـــور : ربما يكون قد مزقه ؟

مـــارى : (تهز رأسها علامة النفى كأنها تشك في شيء) ذات مرة ، كان يبدو لى كأنه يبحث عنه بدون أن يعثر عليه .. فلا أنا ولا هو عدنا إلى الحديث عن هذا الكتاب .

الدكتـــور : اذن .. لا تعرفين ما هو الكتاب الذى كان يقرأه زوجك في الحلم !

مـــارى : بلى ، أعرفه .

الدكتـــور: آه . . ! تعرفينه ؟

مـــارى : انه احد هذه الكتب التى اشتراها اخيرا في علم النفس

الدكتـــور: (مستغرقا في التفكير) آه ! !

مـــارى : بماذا تنصحنى يادكتور ؟

الدكتـــور: كنت أحب أن أسألك عما إذا كنت قد فكرت في حل ما .

مـــارى : فكرت في أشياء كثيرة .. الانفصال .. ربما لبعض الوقت .. العودة الى العمل في المدرسة ..

الدكتـــور: يسرنى أن تكونى قد فكرت في ذلك ، فالانفصال عنه .. والاختلاط باطفال آخرين قد يكون صحيا لك . ولو سمحت لى . استطيع أن أتحدث بنفسى إلى زوجك حتى أسهل عليك الأمر .

مـــارى : لم تفهم قصدى يادكتور .. فأنا أفكر في كل هذه الأشياء لكنها جميعا لا تبعث في نفسى أى أمل على الاطلاق ، أشعر انى عاجزة عن بذل أى مجهود وأنه لا شهية لى لعمل أى شيء ! انى أشعر بنوع من اللامبالاة المطلقة .. بكل شيء .

الدكتـــور: هذه اللامبالاة .. أتشمل ابنك أيضا ؟

مـــارى : (باكية) ابنى المسكين ! ! .. ليته يغفر لى يوما ما جنيته عليه باحضاره إلى هذا العالم الشنيع !

الدكتـــور: ها أنت ترين انه مازال هناك شيء يثير فيك الأمل ، حسنا ، عليك اذن أن تستهينى بآلامك الخاصة

وتكافحى من أجل ولدك ، ولو فعلت هذا – أؤكد لك ياسيدة بارنيس – أنك ستظفرين بالنسيان ! !

مـــارى : لا يادكتور . . حتى ولا الطفل !

الدكتــور : ما معنى هذا؟

مـــارى : هذا فظيع . . أحيانا . . يخيل إلى اننى أصبحت لا أحب ابنى .

الدكتــور : ماذا ؟

مـــارى : لا ، لانه ابنه ، أرى في وجهه الصغير منذ الآن ملامح أبيه ، ملامح جلاد !

الدكتــور : يجب عليك أن تقاومى هذه الأفكار الشريرة . . فهذه الأشياء لا تورث في الدم .

مـــارى : (يائسة) أعرف هذا يادكتور . . أعرف هذا .

الدكتــور : أن ولدك برىء ، ولديه أم تستطيع أن تعمل ما في وسعها لتجعله يتفادى هذا المصير . . كى لا يصبح في الغد جلادا آخر .

مـــارى : ألكى يصبح ضحية ؟

الدكتــور : ساعدى نفسك . . ارجوك ففى هذا العالم هناك ما هو أكثر من جلادين وضحايا .

مـــارى : ان لزوجى أما هو الآخر . . كان عليها أن تجعله يتفادى هذا المصير ، فلماذا أظن أننى سأكون أما أصلح منها ؟ لقد كنت اعتقد أن الحياة شيء رائع فتبين لى انها شرك منصوب لنقع فيه . . ولا ينبغى علينا أن ننقلها لغيرنا .

الدكتور : الحياة يمكن ان تكون رائعة ، صدقيني ! انضمي إلى جيش الذين يجاهدون من أجل ذلك . . انه أكثر عددا مما يظن الناس عادة ! . . لقد جئت لاستشارتي . وهذا معناه انك مازلت تثقين . . وتأملين ! . .

ماري : لا . انني مثل الغريق الذي يلتفت إلى أبيه ويصرخ . . لكن الأب يقول له وهو على الشاطيء ! اسبح ! . . يجب أن تسبح . . ولم تعد لدي أية طاقة على المجهود . . (تنظر اليه بعيون يتجسم فيها العجز الحيواني ، يتنهد الدكتور ويخرج دفتره الصغير ثم يشرع في كتابة « الوصفة ») .

الدكتور : لابد لك من أن تلزمي الصبر ياسيدتي . . الآن عليك بتناول هذا الدواء ، وهو كما سترين – عظيم المفعول ، ثم عودي في الاسبوع القادم . . او حتى قبل ذلك ان رغبت ، عندما تريدين الكلام معي .
(يعطيها ورقة الدواء) .

ماري : شكرا . (تحتفظ بها وتنهض) .

الدكتور : (يقوم ويشد على يديها مصافحا) سيدة بارنيس ، تشجعي !

ماري : شكرا . (تذهب إلى الناحية اليمنى ثم تلتفت اليه) سعدت مساء !

الدكتور : إلى اللقاء ياسيدتي .

تخرج ماري ، تعود السكرتيرة إلى الظهور وبيدها قلم ودفتر (ماذا كان بوسعي أن أفعل ؟ عندما مددت يدي اليها بهذه « الوصفة » التعيسة التي كثيرا ما تخفي

حيرتنا وحرجنا – معشر الأطباء – شعرت بأن العالم كان هو المريض وأنني لا أستطيع شفاءه ، بيد انها أثناء ذلك كانت تغوص في أعماق البحر الذى تحدثت عنه . . تجذبها إلى قاعه هذه الاحلام الرهيبة التى تلاحقها . . وما أشقى هؤلاء الذين تتحول الأحلام عندهم إلى شيء أهم من الحياة نفسها .

السكرتيرة : أهم من الحياة نفسها .

الدكتور : لقد استطعت أن أعيد بناء الأحداث التى جرت بعد هذه الزيارة التى كانت آخر زياراتها لى ، فقد ذهبت ولم أعد لرؤيتها .

(تضاء مقدمة المسرح كلها ، يخرج كل من الدكتور والسكرتيرة من الجانب الأيمن ، لحظة سكوت تدخل بعدها مارى مرتدية معطفها من الناحية اليمنى وتعبر المسرح ، عندما تقترب من الجانب الايسر تواجه بـ « لوثيلا مارتى » داخلة في ثياب الحداد وتمر بجانبها دون ان تنظر اليها ، تتوقف مارى وتلتفت اليها فتراها وهى تمضى) .

مـــارى : لوثيلا !

(تتوقف لوثيلا ولكنها لا تلتفت ولا تبدو عليها الدهشة . تقترب منها مارى دون أن تجرؤ على الكلام) :

لوثيـــلا : (وهى تلتفت نصف التفاته ، لكن دون ان تنظر اليها) ماذا تريدين ؟

مـــارى : لقد قلت لى الحقيقة فرميتك بالكذب والافتراء . اغفرى لى !

لوثيـــلا : ان طلب الغفران لن يصلح شيئا ياسيدة بارنيس . . .
فهو . . لا يمكن ان يعود للحياة !

مـــارى : (بدهشة) هل . . مات ؟

لوثيـــلا : (تنظر اليها بابتسامة شريرة) ألم يقل لك زوجك ذلك ؟
. . نعم ، يبدو ان قلبه قد خانه . . وهو في مقر رئاسة المخابرات .

مـــارى : انا . . لم أكن أعرف .

لوثيـــلا : هذا لا يدهشنى ، طاب مساؤك !
(تهم بالذهاب لكن مارى تمسك بها)

مـــارى : لا أريد ان تذهبى هكذا . . أنا لا أستطيع أن أعمل أى شيء . . أى شيء . . لكنى . . أضرع اليك ان تسامحينى لما فعله زوجى في زوجك .

لوثيـــلا : (بحنق) أتريدين ان اسامحه هو ؟

مـــارى : لا ، لانى ايضا لا أستطيع أن أسامحه ، وقد بقيت أنا الاخرى بدون زوج . . بشكل آخر . . والآن يالوثيلا !
. . نتعذب سويا .

لوثيـــلا : سويا . . لا ، فعذابى هو ملكى وليس لك الحـــق في مشاركتى اياه ، فأنت لم تمرى على مقر المخابـــرات . . مثلى ، ولن تمرى على الاطلاق ، كما انهم لم يعذبـــوا زوجك ، بل هو الذى يقوم بالتعذيب . . (تشـــير إلى ملابسها) أنت لا تفهمين ابدا ما هو هذا الحداد .

مـــارى : سأحاول أن أفهمه يالوثيلا . . أنا . . لن أنسى مطلقا ، أعدك بذلك !

(لوثيلا تستعد للذهاب لكن ماري تمسك بها مـــرة أخرى) .

رحمة بي ! . . دعيني أكن صديقتك . . سأتعلم كيف أتعذب إلى جانبك . . ونتبادل العزاء . . لـــو أمكننا يالوثيلا . . يابنيتي !

(تهم بالركوع أمامها ولكن لوثيلا تمنعها بعصبية) .

لوثيـــلا : هل جننت ؟ هيا . . انهضي ، الناس ينظرون الينا . لا تبكي ، أما أنا فلم تعد لى دموع اسفحها . . ودموعك اصبحت مضحكة ، كل هذا لا فائدة منه الآن ياأستاذة ! . . وداعا ! (تمشي نحو الجهة اليمنى)

مـــارى : ألست أنت التى أرسلت لى الكتاب ؟ أليس كذلك ؟ (تلتفت اليها لوثيلا وترمقها دون أن تجيب) . ألست أنت ؟

لوثيـــلا : لا أدرى عم تتحدثين (تهم بالخروج)

مـــارى : شكرا على الكتاب يا لوثيـــلا .

(تسمع لوثيلا هذه الكلمات وهى في طريقها للخروج من الناحية اليمنى ، مارى تخطو وراءها بضع خطوات بطيئة ثم تقف لتنظر اليها وهى تبتعد ، من الناحيــــة اليسرى يدخل دانييل وهو يرتدى معطف مطر وقبعـــة ويقف خلف المقعد الحجرى دون أن يحول نظره عنها ، . . تعود مارى لتستأنف سيرها ولكنها عندما تـــــراه تتوقف مندهشة ، ثم تتقدم ببطء حتى تصل الى جانب المقعد الحجرى)

دانييل : عم كنت تتكلمين مع هذه المرأة ؟

مـــارى : بوسعك أن تتصوره

دانييل : لقد كنت على وشك ان تركعى امامها في عرض الشارع

مـــارى : ولماذا لم تقترب وتفعل ذلك معى ؟

دانييل : قلت لك انه يجب ألا تعودى لرؤيتها ، وان هذا خطير !

مـــارى : ما هى أهمية هذا الآن . ؟

(تجلس على المقعد الحجرى وتنكس رأسها)

دانييل : لماذا ذهبت لرؤية الدكتور بالمى ؟

مـــارى : هل تفرغت لمتابعتى ؟

دانييل : نعـــم !

مـــارى : لمـــاذا ؟

(دانييل لا يجيب ، اما هى فتنظر اليه وتدرك في الحال)
أهذا ممكن ؟

(تضحك) انت اذن . . تغـــار !

دانييل : (وهو يجلس على الطرف الآخر من المقعد) حاولى ان تفهمينى !

مـــارى : هذا شيء مضحك ! أثمة أهمية يمكن أن توليهـــا الآن لموضوع رجولتك . . المفقودة ؟

دانييل : انى . . أحبك يا مارى !

مـــارى : كلمات ميتة .

دانييل : لا ، مادمنا أحياء ، اعدك انى سأجد طريقة للخروج من هذا النفق ، اسمعى : اعرف أنه توجد وظائف شاغرة

في الخارج ، ولو طلبت احداها فان بارلوس سيستجيب لى ، انا متأكد . وهناك من الخارج ـ أقدم استقالتى ، عندئذ لا يستطيعون منعى من ذلك ، أقسم لك أنـــنى سأفعل هذا ! مازال باب التوبة مفتوحا امامى، وسأبحث عنه . . وأعمل على ان أكون جديرا به ، فسامحينى أنت الآن . . حتى ولو كنت لا أزال غير مستحق لذلك !

مـــارى : كيف يمكننى هذا ؟ وهذه الطفلة التى ترملت ، كيف يمكنها ذلك ؟ أما هو . . فلم يعد من الممكن ان يغفـــر لك . . لا نكم قتلتموه ! (ينكس دانييل رأسه) وهذه مسألة أخرى اخفيتها عنى .

دانييل : لم أرد أن أخبرك بها . . حتى لا تتعذبى بأكثر مما عانيت

مـــارى : هذه أيضا كلمات فارغـــة .

دانييل : لا يا مارى !

مـــارى : وكل هذا اللحم المسكين الذى مزقته بيديك خـــلا ل سنوات كاملة . . ماذا تقول عنه ؟ تتكلم فقط عماأعانيه من عذاب قليل أو كثير ! شيء يبعث على الضحك ! انى أشعر بآلام هذا اللحم في كل ساعة من عمرى ، لهذا ذهبت لاستشارة الدكتور بالمى ، ، لا استطيع ان افكر في شيء آخر .

دانييل : ولا أنا يا مارى !

مـــارى : خصوصا في الليل ، هـــه ؟

(يأخذ الضوء في ازرة المكتب العلوى)

دانييل : في الليـــل ؟

مـــارى : في الليل .. عندما أحاول ان أتصور من هو الذى يمكن ان يكون في هذه اللحظات بين أنيابك .. ويخيل الى انه .. أنا نفسى .. لكنك لا تتصور أى شيء .. أنـــت تفعل كل ذلك ، لماذا كان عليك ان تذهب كل هذه الليالى لتقوم بواجبات عملك كجزار ؟ .. قـــل لى : بماذا تشعر عندما تجعلهم يصرخون ؟

دانييل : لكى أتخلص من هذا أنا مجبر على الذهاب ..

مـــارى : ألا تشعر انه هو لحمك أنت الذى يصرخ ؟

دانييل : (وهو ينظر حواليه في كل اتجاه) اخفضى صوتـــك! الناس يمرون !

مـــارى : ثم ماذا ؟

دانييل : (وهو يمعن النظر الى الجانب الأيسر) لا تتحركى ! (يضغط على يديها) انظرى بمواربة الى هذا .

مـــارى : لاأرى احدا .

دانييل : لقد انعطف لتوه الى الشارع الرئيسى ، أعتقد أنه مارسان (تتنهد مارى بكرب شديد ، يدخل المفتش باولو س الى المكتب من الباب المواجه ويظل واقفا امام المنضدة وقد غمره الضوء عاقدا ذراعيه ومستغرقا في التفكير) يجب علينا ان نخرج من سوريليا يا مارى .

مـــارى : الى حيث ذهبنا ، سيكون في انتظارنا مفتش آخر مثل باولوس .

(يسمع من بعيد موسيقى ليالى شوبن ، تداعب مارى حفافة المقعد خفية ثم تنفجر فجأة في البكاء ، لحظة صمت)

دانييل : نعم ياماری .. كنا هنا في نفس هذا المكان .. وكنت حينئذ تبكين ايضا ، لم استطع ان اجفف هذه الدموع .. كل شيء اصبح كذبة ضخمة .. لكن هذا .. على الأقل كان حقيقة .. كان ذلك حقيقة!

مـــاری : (وهی تنهض) هيا بنا !

(تتجه إلى الناحية الجانبية وهو يتبعها ، ثم لا تلبث ان تلتفت وتنظر الى المقعد وهو يفعل ذلك أيضا ؛ يخرجان ، يظل المفتش بلا حراك في المكتب الذى يغمره الضوء ، وإلى الناحية اليمنى نرى الدكتور وسكرتيرته وقد عاد اليهما الضوء ، مازال صوت البيانو يرن)

الدكتـــور : (ممليا) يعرف القارئ من قبل أن مرضى قصتى الأولى كانوا يعيشون جيرانا في المنزل لهذين الزوجين .. وكانوا اناسا يتمتعون بمركز ممتاز بلا أولاد ، وقد جاءوا لاستشارتى حول جملة أعراض تدل بوضوح على الملل الذى اعتراهم من حياتهم ، مثل الأرق وفقدان الشهية والأشواق المبهمة .. والاجهاد المتبادل .. وقد اقترحوا هم أنفسهم الاقامة في المصحة لبعض الوقت ، وقبلت فكرتهم ، كنت أفكر انه ربما يؤدى التغيير الطارئ على طريقة حياتهم الى نوع من التحسن الصحى .

السكرتيرة : الصحى ؟

الدكتـــور : لكننا وقد وصلنا في الحكاية إلى هذه النقطة نتساءل : ألا يكون بعض القراء لم يطلع على القصة الأولى ؟ ..

أنا نفسى كثيرا ما ابدأ قراءة كتاب ما من أى جزء يروق لى .. أو أشعر نحوه بجاذبية أكثر دون أن أتقيد بالبداية ، ولهذا ينبغى على أن اذكر القارئ بان هذه القصة الحالية لا تستعصى ابدا على الفهم في رأيي بدون ربطها بالقصة السابقة ، وربما كانا في نهاية الأمر يكونان تاريخا واحدا .. والآن يمكننى أن أحكى ما تبقى من هذه الحالة التى نحن بصددها .

قرر مريضى أن يتكلم للمرة الثانية مع رئيسه ، وكان هذا بداية النهاية .

(ينحسر الضوء عن مقدمة المسرح حيث يشمل الظلام المقعد الحجرى وعيادة الطبيب ، يخرج الدكتور وسكرتيرته ، يتراجع المفتش باولوس إلى الناحية اليسرى ثم يقف منتظرا . يصمت البيانو فجأة ، يصعد دانييل درجات السلم الأيسر ثم يخلع قبعته) .

دانييل : مساء الخير ياسيادة الرئيس !

باولوس : تريد أن تتكلم معى ؟

دانييل : لو أمكن أن تعطينى من وقتك بضع دقائق ..

باولوس : اجلس !

(يترك دانييل قبعته على المشجب ثم يقترب من الكرسى ولكنه يظل واقفا) أنا مللت الجلوس ، ماذا تريد ؟

دانييل : كنت أحب أن التمس منك فضلا كبيرا ياسيادة الرئيس (يجلس)

باولوس : الاجازة ؟

دانييل : (ضاحكا) لا . لا . هذا قد فات ، انك قد رأيت الموقف بوضوح ، كانت احدى لحظات الضعف التى يمر بها أى انسان ، لكننى الآن أشعر بأنى قد عدت إلى حالتى الطبيعية (بنوع من التبذل) لا أظن ان سلوكى هذه الأيام يدع مجالا للشكوى !

باولوس : فعلا .. أنت تمارس عملك على أحسن وجه (سكتة قصيرة) .

دانييل : (باسما) هل أحظى اذن بثقتك ياسيادة الرئيس

باولوس : (باسما) دائما كنت تحظى بها .

دانييل : لولا هذا .. لم أجرؤ على أن افضى لك برغبتى

باولوس : وما هى ؟

دانييل : لا أخفى عليك أننى قلق من أجل زوجتى .. فقد كانت تجهل اشياء كثيرة ، أما الآن وقد تكشفت لها فهى مضطربة وعصبية ! .. مريضة ، لا يمكن أن نطلب منها فجأة أن تفهم أشياء كان من اللازم أن تمر بمرحلة اعداد طويل لها .

باولوس : هذا بديهى .

دانييل : وعلى انا تهدئتها ، واعتقد اننى سأحقق ذلك . لكن .. ليس هنا ، قد يكون من المناسب ان ننقلها إلى جو آخر ، ان نجعلها تشعر بأننا نحن الاثنين بعيدان عما يقلقهما .. فكرت أنه يمكننى ان أشغل بفعالية ممتازة بعض وظائف الخدمة الخارجية .. لو كنت بمفردى لم أطلب هذا ، لكننى مسئول على أى حال عن

منزلى وأريد أن أرعاه جيدا ، هل يمكن لسيادتك أن تساعدنى مرة أخرى ؟ لا يهمنى أى بلد، أى مكان أستطيع أن أكون نافعا فيه .

باولوس : (وهو يمعن فيه النظر) انه في سوريليا . . حيث يمكنك أن تكون أعظم نفعا يابنى ! .

دانييل : عندما تكون وراء ظهرى زوجة مضطربة ربما لا أحصل جيدا ياسيادة المفتش .

باولوس : ان تحصيلك هذه الأيام كان ممتازا .

دانييل : (بعصبية) حتى لو كان الأمر هكذا . .

باولوس : سأقولها لك بطريقة أخرى ، هذا النقل الذى تطلبه سيثير كثيرا من الدهشة . . ومن يدرى . . ربما أثار الشكوك . . وهذا لا يلائمك الآن ، كما انه لا يليق بى اقتراح شىء مثل هذا في عير وقته المناسب .

دانييل : ولو قدمت انا الالتماس مباشرة ؟

باولوس : عندئذ يجب علىّ وضع التقرير ،ولا أعتقد انه سيكون لصالحك .

دانييل : (مستاء) لمـــاذا ؟

(يدور من خلف ظهره ويضع يديه على كتفه) ليس من أجل زوجتك . . أليس كذلك ؟

دانييل : لقد شرحت لك .

باولوس : قل انه من أجل الاثنين ! (يعتدل ويذهب الى المنضدة) حسنا . . لقد جئت بمسرحية معدة جيدا ، لكن . . ها أنت قد عرفت اجابتى . الى اللقاء مساء !

(يجلس ويأخذ في مراجعة بعض الاوراق، سكتة طويلة فجـأة تنبعث صرخـات من خلف الباب المواجـه للجمهور ، آهات مخنوقـة لا تكاد تسمع ، باولوس لا تهتز فيه شعره ، اما دانييل فيقشعر بدنه)

دانييل : أنا لن اعود هذه الليلة .

باولوس : ماذا تقول ؟

دانييل : لن أعود للتعذيب (يترك باولوس الأوراق على المنضدة بضربة جافة) عليك ان ترسلني للخارج ان لم تـرد أن تسحب عني حمايتك ، أما اذا كنت تفضل ان تعتبرني متهربا فضعني في السجن !

باولوس : أو قد وصلت الى هذا الحـد ؟

دانييل : نعـم !

باولوس : بسبب عملك ؟

دانييل : لا تسمه عملا .

باولوس : ما هو اذن ؟

دانييل : اجرام

باولوس : (ناظرا الى الباب المواجه) لحسن الحظ ، نحن وحدنا ومع ذلك سأبذل مجهودا آخر لصالحك والآن اسمع يا أحمق : أنا لم أخترع التعذيب : . . فعندما جئت أنا وانت في هذا العالم كان يوجد فيه التعذيب كما توجد فيه الالآم والموت ، ربما كان شيئا همجيا . . و لكننا نعيش في غابة ، ولهذا فهى همجية عادلة !

دانييل : ضد كائنات بشرية

باولوس . ما أشد قلقك من أجل هذه الكائنات البشرية ! ! لقد

رأيتهم هنا . . معظمهم لا يساوى شيئا على الاطلاق ؛ وليس هناك في التاريخ اى تقدم لم يقم على حساب جرائم لا تحصى .

(تسمع صرخة ، كلاهما ينظر الى الباب)

دانييل : أتعني . . شهداء لا يحصون ؟

باولوس : يالها من حماقة ! كل الاعمال العظيمة لها شهداؤها كما ان لها ايضا جلاديها !

دانييل : ان هؤلاء الآخيرين هم الذين يدنسونها .

باولوس : (يهز رأسه بحزن) أنت مثل الطفل الذى يرى العالم على انه حكاية الطيبين والاشرار ، لكن . . كثيرا ما يكون الجلاد شهيدا قد استطاع ان يتغلب على الصعوبات ويعيش ، بينما يكون الشهيد جلادا لم يمت في الوقت المناسب ، كما يمكن ان يحدث هذا غدا لأى واحد منا مثلا . . اى واحد منا . . ! شهداء ، جلادون . . كلمات للدعاية ، لكننا نحن الآن وحدنا وسأقول لك الحقيقة (صرخة أخرى ينظر باولوس إلى الباب) من الجوهرى ان يكون الحق في صفنا ، عندما يحدث هذا لا تكون للوسائل المستعملة أية أهمية ؟

دانييل : ولو لم يكن كل الحق في جانبنا ؟

باولوس : (هامسا) لا يمكن أن يكون كل الحق في جانب واحد أبدا . . ثم ماذا ؟ . . نحن محتاجون لاستخدام كل الاسلحة . فالعدو يستخدمها ايضا ، انها أسلحة طبيعية يا دانييل هناك من يمرتون في مخالب الوحوش ، وهناك أشقياء تطحنهم عجلات الناقلات الضخمة ، (صرخة اخرى ، يرفع باولوس صوته) وآخرون يصرخون

طول الليل خلال شهور لأن السرطان يأكلهم من الداخل لن تستطيع أن تقضى على الألم من هذا العالم ، هل تتركه إذن في يد الأقدار ؟ أم تستولى عليه وتستخدمه ؟ .

دانييل : ولماذا لا نعلن هذا ؟ لماذا لا نجعل التعذيب في بنود قانون العقوبات ؟

باولوس : انالناس يفكرون بطريقة صبيانية مستعصية ، ولن يفهموا هذا.

دانييل : لا . ولكنهم بدأوا يدركون حقيقة الأمر ، فالناس قد قبلوا هذا في عصور أخرى عندما كانوا أكثر صبيانية من اليوم . الآن يجب اخفاء التعذيب ووسائله كالابن المشوّه ، ولكى تدافع عن هذه الوسائل فأنت مضطر لأن تغلق الأبواب وتتكلم بصوت خفيض أما أمام الجمهور فأنت مرغم على أن تتظاهر باللطف ورقة الجانب ، تتظاهر بأنك رجل دمث يحب الآخرين . . يا لها من خيبة ياسيد باولوس ، إنك رجل مزيف إنها كذبة تحمل في طياتها دلائل الادانة . (صرخات) .

باولوس : (مغيظا) أية ادانة ؟ .

دانييل : ادانة المداراة ، مثل المجنون الذى يريد أن يكون الحق معه ، ولكنه ليس من الجنون بالدرجة التى يستطيع فيها أن يعلن ذلك ، هه ؟ لا يهم ، مادام ضحاياك سيدفعون الثمن غاليا ، ولكن صرخاتهم خير عوض عما لا تجرؤ على التفوه به .

(لحظة صمت ، ينظران إلى الباب)

باولوس : ياللك من أبله مسكين ! انك لا ترسم صورتى بهـــذه الكلمات ، ولكن صورتك أنت ، فعندما تجىء لتقول

لى هذه الاشياء تظن انك بلغت المدى من الشجاعة ، ولكنك تعرف اننا وحدنا واننى لا أحب ان الحق بك الضرر .

(ينهض غاضبا) انت الذى لا يجرؤ على فتح فمه عندما يخرج من هنا . أنت الذى سيلزم الصمت !

(يدور حول المنضدة ، تنبعث صرخة أخرى ، يميل عليه ليحدثه في أذنه) لقد وقعت ولا مفر أمامك ، فرجل المخابرات يظل هكذا حتى الموت (يتجول في المكتب) وعليك ان تشكر لى انى مازلت أبقى عليك وأبغى معونتك ، سأنقذك بالرغم منك ، لانى اخترت مركز القوة ! أتفهم؟ بين ان افترس أو أكون أنا الفريسة اخترت الوضع الأول ، وجئت بك معى . (يقترب منه ويضع يده على كاهله) ستطول أزمتك يافتى ، ولكن . . ربما لايزال في استطاعتك تجاوزها ، لا تعد هذه الليلة ، استرح ! غدا ستكون قد غيرت رأيك !

دانييل : لن أعود غدا أيضا ياسيد باولوس !

باولوس : (وقد احمر وجهه من الغضب) أعطنى « المسدس » والبطاقة التى تحملها في الحال ! (يقف دانييل مرتعشا) هيا ! (يخرجها دانييل من جيبه ويضعهما على المنضدة)

دانييل : ها هما !

(يذهب باولوس إلى التليفون ، يرفع السماعة ويشرع في طلب رقم ما) هل هذه هى المرة الأولى ياسيد باولوس ؟

باولوس : ماذا تقول ؟

دانييل : هل هذه هي المرة الأولى التي سيترك فيها رجل مخابرات عمله قبل أن يموت ؟

باولوس : (يضع السماعة بحدة) جعلتني أفقد هدوئي ! ، لكن . . لن أمكنك من تنفيذ مآربك . (صرخات) من الأفضل أن تعيد التفكير في الأمر ، واذا غيرت رأيك فعد غدا . (يتمشى في الحجرة ، صرخات) .

دانييل : ألم تدرك انني لم أعد أستطيع ذلك ؟ ان ما يحدث هنا لا يحطم فقط من يقع عليهم ، بل ومن يقومون به (صرخات)

باولوس : فقط : الاشكال الهزيلة مثلك ! (صرخات (أما البقية فما زلنا أصحاء معافين (صرخات . يتقدمباولوس إلى الباب ويفتحه بحدة (اذهبوا إلى الحجرة الأخرى ! . نعم ! هذا ما قلته لكم .

(يغلق الباب بضربة واحدة ثم يعود ، دانييل يحدق فيه النظر) .

دانييل : (بعد هنيهة) ان دالتون مصاب بصداع دائم ! أتعرف منذ متى ؟

باولوس : لا .

دانييل : بعد قليل مما فعله في ذلك المعتقل الذى كان يسمى روضييرو

باولوس : ثم ماذا ؟

دانييل : فولسكي يعانى من آلام المعدة وهو دائما محرور المزاج . أما مارسان فهو عربيد ، أشهى ما يقدم اليه امرأة مذعورة يلتهم جسدها ، لويحى . . . من الافضل ان لا أتحدث عنه ! . . وبوثنر ؟ . . القوى . . الرصين . . . هـذا الجلف المسمى بوثنر ! . . هل كنت تعرف أنه يصرخ ويقوم مفزوعا بالليل ؟

(أثنـاء هذه الكلمات يجلس باولوس مكتئبا عـلى الأريكة)

باولوس : لا جديد عليّ في كل هذا .

دانييل : (بابتسامة ظافرة) قلت لى من قبل انهم أصحاء . . . معافين . .

باواوس : كنت أكذب عليك .

دانييل : (يتأمل ا وقف لحظة ثم يتنهد بعمق (ارسلنى للخدمة في الخارج ! . . لا أريد أن أخلق هنا أية صراعـات . . يمكن تفاديها .

باولوس : ستظل هنا .

دانييل : (يتقدم في اتجاهه خطوة هل تريد ان تدفعنى إلى الانفجار ؟ ها أنت تعترف بان الحق معى !

باولوس : كلا . . اذا كان زملاؤك مرضى فكل العالم مريض . في الشارع يمكنك أن ترى أى رجـل شريف ورب أسرة متخبطا في رذائله ، يعانى من قرحة في المعـدة ويصحو صارخا بالليل ، لابد ان لديه سببا لذلك لـو كان يعرفه ! . . ربما كان يفكر في دخله الـذى لا

يغطى نفقاته . او يحدس بانه ايضا مسئول عن كل ما يجرى هنا للدفاع عنه ، خلاصة الامر . . انه هو نفس العالم . . سواء هنا في الداخل أو هناك في الخارج ، ولهذا فمن الوهم ان يظن بعض الخياليين انه لكى نقـــوم بعملنا يجب علينا ان نعثر على رجـــال مختلفين أو أن نصبهم هنا من حديد ! . . انظر الىّ : لقد كنت واحدا من هؤلاء الواهمين ، وكل واحد من رفاقك كـــان بالنسبة لى خيبة أمل . . لاننى كنت أثق فيك ، كنت أعتقد انك تختلف عنهم ، مثلى ، كان يجب عليك ان تظل سليما معافي ! . . حسنا ! . . على أية حـــال ، ستمارس عملك مريضا مثلهم ، لقد تعلمت أن أكون وحدى منذ سنوات طويلة .

دانييـــل : منذ متى ياسيد باولوس ؟

باولوس : ماذا تعنى ؟

دانييـــل : لماذا اخترت هذا العمل ؟

باولوس : لماذا اخترت . . ؟ عن أى شيء تتكلم ؟

دانييـــل : هناك من يصاب بالمرض هنا وهو يعمل ، وهناك من يلتحق بالعمل وهو مريض ، ولقد كنت مريضا قبل ان تنخرط في هذا السلك .

باولوس : أنا . . بأى شيء ؟

دانييـــل : بالحقد ! (لحظة صمت)

باولوس : (بدون ان ينظر اليه) لقد جننت يابنى !

دانييـــل : (بعد هنيهة) أمى تقرئك السلام !

(يرفع باولوس رأسه ويحدق فيه النظر)
هل تريد أن ابلغها سلامك مثل المعتاد .

باولوس : لو كان هذا يلهيك . .

دانييـــل : انك انت الذى لا تنسى هذا على الاطلاق ! ياله من شيء طريف ، لقد كان من المنطقى ان تتخلى عن هذه المجاملات بعد كل هذا الوقت الطويل . . أيستحيـــل عليك ان تنسى إلى هذا الحد انها رفضتك ؟

باولوس : (ينظر اليه دهشا ثم يقوم) اسكت ! !

دانييـــل : لقد داخلنى الشك بأنك أبى الحقيقى ، وقد ناديتنى منذ قليل بكلمة يابنىّ ، لا تعد للنطق بها مرة أخرى ! الآن افهمك بعمق ، فأنت لم تتخلّ في أية لحظة على الاطلاق عن حقدك على هذا الرجل الذى كان أبى . . (يضحك بعصبية) الا يثير هذا ضحكك انت ؟ . . . الرجـــل القوى ليس الا لعبة ؟ . . السياسى الذى لا يتطرق اليه الضعف يخفى وراءه انسانا متهالكا مخذولا . . مـــن يومها لا يفتأ عن الانتقام من هذا الجرح ! خاصة من ابن غريمه ، الذى كان من الممكن ان يصير ابنـــه ، ولكنه جاء من رجل آخر .
(يقترب منه باولوس ملوحا بقبضة يده)

باولوس : (يصيح به وقد وصل إلى جانبه) اسكت ! !

دانييـــل : (يصيح منفعلا هو الآخر) ساعدتنى على الالتحـــاق بالخدمة كى تحطمنى ، جئت بى إلى المخابرات كى تقضى علىّ . اهنأ . فها أنت قد حققت غرضك . الولد

يدفع دين أبيه ، وبأغلى ثمن ! بالثمن الذى كنت نريد ان يدفعه أبى وقضيت علىّ بأن أدفعه أنا . . لأنك لم تكن تريد الا هذا ، أليس كذلك ؟ عندما أمرتنى أن أشوه مارتى المسكين كان هذا هو ما ترمى اليه !

باولوس : (مرتعدا) ماذا ؟

دانييــــل : اهنأ . . هاأنذا مثله ، ها أنذا لا يمكننى ان أعاشر زوجتى الا مثل اخيها .

(باولوس يغمض عينيه وقد تملكه اضطراب غريب)

لكننى مازلت رجلا !

(يجذبه باولوس بعنف من مجمع ياقته بطريقة مفاجئة)

باولوس : ألن تسكت ؟

دانييــــل : (وهو يتأرجح في يديه) الرجولة لا تسكت . . الرجولة حمقاء ، أشعر بأننى أعود للحياة . . هذا المخلــوق التافه يأتى ليقول لك ! انك نذل ! !

(يقذفه باولوس على الأريكة بغيظ ، يتبادلان النظرات شزرا وهمـــا يلهثان ، يرن جرس التليفون ، يتجـــه باولوس إلى المنضدة ويتناوله) .

باولوس : « آلو » . . تحت أمرك ياسيادة الرئيس . . انـــه . . ليس لدينا الآن الا رجال قليلون . . لكنهم يعملـــون ليلا ونهارا . . اؤكد لك ياسيادة . . أعطنى أربعـــة أيام أكثر . . أعد سيادتك بانه خلال أربعة أيام سننهى التحقيقات . . . حسنا ، سنأخذ هذا في الاعتبار . . . نحن رهن اشارتك !

(يضع السماعة ويظل لحظة مستغرقا في التفكير ، دانييل يقوم واقفا) .

دانييـــل : ليس هو الحقد فقط ، بل الخوف كذلك ، أنت أيضا قد وقعت في الشرك . وداعا !

(يتأهب لتناول قبعته) .

باولوس : دانييل !

(يلتفت اليه دانييل بينما يتقدم نحوه باولوس بضـــع خطوات) لا أريد أن أنكر أشياء ربما كانت صحيحة ، ولن أهبط إلى مستوى الكذب عليك ، انا أعرف بالرغم من كل شيء انني أقوم بعملي لأسباب أنبل بكثير مما يمكن ان يعمله كل واحد من هذه الحثالة التي تعمـــل هنا في باطنه ! هذا هو مصدر قوتي ، ولا أريـــد أن أعرف شيئا آخر . . أنت رجل مخابرات ولن نتخـــلى عن هذه الصفة .

(يلتقط المسدس وبطاقة الشخصية من فوق المنضدة ، يضع بنفسه المسدس في جيب دانييل الداخلي) .

احتفظ بمسدسك وبطاقتك ، (يضع له البطاقة في جيب معطف المطر) ومن الممكن أن يكون لك الحق في شيء واحد : ربما كان من المناسب ان نرسلك إلى الخارج ! دائما أشعر بضعف نحوك مع انك تعتقد العكس ! ربما تستطيع أن تجمع هناك في الخارج شتات قواك . . فبعد الذي قلته لي على أن أعترف لك بصراحة أن وجودك هنا قد أصبح لا يسرني ، سأعيد

النظر في الأمر ، لكن لابد من انتظار اللحظة المناسبة !. وحتى يحين هذه اللحظة عليك أن تستمر في مزاولة عملك . يعني . . إلى اللقاء غدا مساء . . . يمكنك أن تنسحب ! (دانييل وقد استمع اليه بابتسامة الظافر يتجه إلى المشجب ويتناول قبعته) .

دانييل : سأعتمد على كلمتك ياسيد باولوس !

(يضع قبعته ويهبط درجات السلم الأيسر بينما يظل باولوس مثبتا نظرة عليه بايماءة غامضة لا يمكن النفاذ اليها . . ثم لا يلبث ان يخرج بقامة مرفوعة وخطوات نشيطة من الباب المواجه للجمهور . في نفس هذه اللحظات يتلاشى الضوء من المكتب ويغمر منزل عائلة بارنيس . حيث نرى على المقعد المجاور للتيلفون ماري جالسة بذهول ، تمر بضع لحظات قبل أن تدخل الجدة من اليسار وهي تدفع امامها سرير الطفل وتتركه بجانب التليفون) .

مـــاري : ألا يبرد الطفل هنا ؟

الجـــدة : هه ؟ . . أنه ملفوف في أغطيته ، وأنت تعرفين انى كثيرا ما أحضره هنا اذ لا أريد أن يصحو على ضوضاء التليفزيون (تخرج الجدة من حيث أنت وهي تترنم بلحن أغنية فينوس بدون الكلمات ، تنهض ماري عقب هذا الحوار بنوع من الحيرة الطفيفـــة التي لا تدرك لها كنهها، أولا تتذكر مبعثها ثم تنظر اليها بامعان وهي تخرج ، بعد هذا تذهب إلى المهد وتنحني عليه لترى الطفل) .

مــارى : يا ملاكى الصغير .. ألا تشعر بالبرد يا طفلي الحبيب ؟. تدثره بالاغطية) هكذا ، مغطى جيدا ! ثم يابنى ! انت لا ذنب لك في شيء .. أنت ولدى ، ولدى أنا فقط .. أمك تحبك ، لانك والدها وحدها .. وحدها فقط .. (تعتدل وهى قلقة مرة أخرى لهذه الذكرى المبهمة .. تنظر إلى ناحية اليسار ثم تعيد النظر إلى السرير باضطراب فجأة تلتفت إلى الناحية المواجهة للمشاهد وتظل هكذا لحظة تترقب ، يدخل دانييل من نفس هذا الاتجاه فتند عنها شهقة دهشة يسيرة ، ينظر اليها دانييل وهو ما ما يزال واقفا بالباب بعيون يلمـــع فيها بريق يوحى بامكانية التحرر)

دانييل : أهــلا !

مــارى : (مغمغمة) أهلا .

(يذهب دانييل إلى دولاب الكتب ويخرج مسدسه ليضعه في مكانه المعتاد دون أن يكف عن النظر اليها ، اما هى فتتراجع خطوة إلى الوراء)

دانييل : هل هو نائم ؟

مــارى : نعم .

(يخطو بضع خطوات نحو المهد فتمد ذراعها بطريقة غريزية لتحول بينه وبين التقدم) لا تجعله يصحو !

دانييل : (يتوقف ويتكلم بصوت خفيض) مارى ! .. كان هذا يبدو مستحيلا .. لكننى سأحقق هدفي ، ربما كان أمامنا مستقبل لا يزال ينتظرنا !

مــارى : (باضطراب) لا أفهم ما تعنيه !

دانييل : لقد تكلمت مع باولوس .

(يعبر المكان لينصت إلى ما يجرى وراء الباب الأيسر ثم يقول وهو يشير إلى خارجه) .
أهى ترى التليفزيون الآن ؟

مــارى : أجل .

دانييل : كان عندك الحق يا مارى ، فبالجبن لم أكن استطيع مطلقا أن أقطع هذه العقدة ، لكننى اليوم كنت أشعر باليأس إلى الحد الذى جعلنى أعثر على كل شجاعتى . . وسمع منى هذا النذل كل ما كنت أريد أن أقوله ، كل شيء . . وفي نهاية الأمر ، وعد بايفادى للخدمة في الخارج .

مــارى : (وهى تنعم فيه النظر) ألن تضطر للعودة اليهم ؟

دانييل : هذه الليلة لا ، فقد أنكرت ذلك بشدة ، أما غدا . . فنعم !

(تنكس مارى رأسها ويقترب هو منها) نعم يا مارى.. انــه ثمــن غال . . ومريــع لكننى كنت ادفعــه كل هــذه الايــام للاشيء . . أمــا الآن . . فقد اضطر للخضوع لى . . انهــا مسألة أيــام . . وسأحاول أن لا أرتكب فيها الا أخف . . الأضرار الممكنة . . ولن يجرؤ هو على أن يلومنى في ذلك . . (يقف بجانبها) مارى ! ياله من تحرر ! كان يجب على أن اصيح في وجهه بالحقيقة كى أصبح رجلا مرة

أخرى ، أنا الآن متأكد ، لقد لاحظت ذلك ، فلو ساعدتنى . لقطعنا كل العقد .

(يضمها اليه من خصرها ، اما هى فترتجف ، يهمس اليها في أذنها بانفعال عاطفى حار) لقد لاحظت ذلك ياماري ، شعرت بهذا وأنا مازلت هناك ، والآن ، عندما رأيتك أدركت اننا على شفا معجزة خارقة !

(يربت على ذراعها) يازوجتى الصابرة . . المتفانية !

(يهم بتقبيلها ولكنها تبعد رأسها عنه وقد اتسعت عيناها بشدة) تعالى . (يحاول أن يقودها إلى الناحية اليسرى ولكنها تتملص منه ، وتبتعد عنه بضع خطوات وهى تلهث) .

مـــارى : ماذا تريد ؟

دانييل : (يقترب منها باسما) امى لاهية في التلفزيون . . والطفل نائم . . فنحن كما لو كنا وحدنا (يمسك بيديها) كل شيء يمكن أن يبدأ اليوم من جديد لو أردت يا مارى . . لقد أظهرت كثيرا من التفهم والكرم معى . . فكونى على عهدك ياحبيبتى ! . . أنا الآن محتاج اليك ، واحبك أكثر من أى وقت مضى .

مـــارى : (تتخلص منه وتتقهقر ناحية المهد) لا !

دانييل : مارى ! . . انه الخلاص الذى قد بدأ ، أنا زوجك أنا دانييل حبيبك !

مـــارى : لا . لا . أنت شخص آخر . . آخر

داتييل : ماذا ؟

مــــارى : انت شخص آخر .

دانييل : (وهو يذهب نحوها) كل منا بحاجة إلى الآخر.

مــــارى : لا تقترب من الولد .

دانييل : (وهو بجانبها) انه ولدى ! (يهزها من ذراعها) وانت زوجتى

مــــارى : دعنى . دعنى ! (تصرخ ، ثم تتمكن من تخليص نفسها منه)

دانييل : مارى ! (مارى تأخذ الطفل من مهده وتحتضنه وهى ترتعش) ماذا تفعلين ؟ اتركى الولد !
(تتقهقر مارى إلى الخلف وهى تتشبث بالطفل في حضنها)

مــــارى : لا تقترب ! .. هذا ولدى ، ولدى أنا ، ولن تمسه بسوء .

دانييل : ماذا جرى لك ؟
(عندما تصل إلى جانب دولاب الكتب تتناول المسدس بسرعة ، وبينما تضغط الطفل على صدرها تصوبه وهى تقول)

مــــارى : لا تقــترب !

دانييل : ماذا تفعلين ؟ هاتى هذا .
(يتقدم نحوها خطوة فتصوب اليه المسدس وتهرب بسرعة مارة من بين الأريكة والمنضدة كى تدور في الحجرة وتأخذ موقعها في مقدمة المسرح من الجانب الأيسر وهى تقول)

مـــارى : ليتنى لم أعرفك أبدا ، ثم أنت يابنى ! فأمك ستدافع عنك ، ليتنى لم أكن أخرجتك إلى الوجود ! اغفر لى هذا ياملاكى الصغير ، أمك ستحميك .. لن يفعل فينا أى شىء .. أى شىء .. وانت .. ستلعب مع كل اطفال العالم !

دانييل : مارى ! اهدئى (يذهب نحوها) وهاتى هذا المسدس .

مـــارى : (تشرعه وهى تصيح) لا تتقدم خطوة واحدة !

(يتوقف دانييل ، يخفت الضوء من الحجرة ويتزايد على مقدمة المسرح ، يدخل الدكتور والسكرتيرة من الناحية اليمنى ، أما مارى ودانييل فيظلان ثابتين بلا حراك على الاطلاق في وضعهما وتعبيرات وجههما ، الدكتور يأخذ في الاملاء) .

الدكتـــور : لو أمكن ايقاف عجلة الزمن .. والتفكير قبل أن يفوت الأوان ! .. أما هو فقد كان سيفكر : ماذا سيكون مصير زوجتى ، ومصير ابنى ؟ أما هى فكانت ستفكر : إذا اطلقت الرصاص فقد ضعت . لكن عندما يصل هذا الانسان المسكين إلى أقصى حدود العذاب يجرفه تيار رهيب ولا تبقى لديه رغبة الا في أن يغلق عينيه .. دون أن يريد التفكير بما سيحدث فيما بعد.

السكرتيرة : سيحدث فيما بعد .

(يدخل الرجل والسيدة اللذان يرتديان سترة السهرة من الجانب الايسر في نفس الوقت الذى يسمعان فيه آخر كلمات الدكتور ، وبينما يشرعان في الحديث ينظر اليهما الدكتور بأسى وحزن)

الرجـــل : (يطقطق بلسانه لائما ويستنكر بهزات من رأسه) هذه اللعبة أصبحت غير نظيفة يادكتور .

السـيدة : (تنم نبراتها عن اضطراب تحاول اخفاءه ، مثلها في ذلك مثل الرجل) أتريد أن تحطم أعصابنا بهذه الحكايات الوهمية ؟

الرجـــل : انه يضطرنا إلى التدخل مرة أخرى .

السيدة : (إلى الجمهور) لا تعبأوا به أيها الأصدقاء ، فقد قلنا لكم ان هذه القصة مزيفة .

الرجـــل : ولو كان قد حدث شيء مثل هذا ، فلم يكن بهذا القدر من الشناعة ، فنحن نعرف أنه كثيرا ما يبالغ الانسان ويزيد في الكلام . . وربما فلتت منه « فشرة »...
(يضحك هو نفسه لهذه الدعابة ، الدكتور يعطى اشارة فيدخل ممرض من الناحية اليسرى ويقترب من الزوجين ، من خلفهما) .

السيدة : لكنه لا ينبغي اثارة كل هذا الضجيج على شيء بسيط .

الرجـــل : الزموا الهدوء ، فنحن نؤكد لكم أن الدكتور قدخدعكم

السيدة : (بأسى) ولا تفقدوا ابتسامتكم !
(يمسكهما الممرض من ذراعيهما وهما ينظران اليه باضطراب ، بينما يدفعهما برفق إلى الناحية الجانبية) .

الرجـــل : (بينما يقاوم الدفع ، يلتفت إلى الجمهور قائلا بحزن) لا تفقدوا ابتسامتكم !
(يجذبهما الممرض بطريقة أكثر جفافا ويخرج بهما من الباب الجانبي) .

الدكتـــور : وهكذا انتهت قصتى الأولى كما قد يتذكر القارىء وكنت قد قررت أن أحكى قصتى الثانية أمام جماعة من مرضى المصحة ، وعندما وصلت إلى اللحظة التى صوبت هى فيها المسدس بجنون تدخل الزوجان اللذان كان بطلى القصة الأولى واتهمانى بالكذب والخداع ، ولم ينفع بشىء ما ذكرتهم به من أنهم كانوا جيرانا لهم في المنزل ، بل انهم اعتمدوا على وجه الدقة إلى هذا السبب في تكذيبى .. وفي اليوم التالى كتبت لهما بالخروج من المصحة ، نعم ، ففى نهاية الأمر هل كنت أستطيع أن أشخص حالتهما بأنها خلل عقلى لمجرد أنهما لا يعترفان بحقيقة الأحداث التى رويتها لكم ؟ ففى عالمنا هذا البالغ الغرابة ، لا زلنا لا نستطيع أن نصف هـــذا الخلط المريب بأنه جنون ، فهناك ملايين مثلهم ، ملايين الأشخاص الذين يقررون تجاهل العالم الذى يعيشون فيه ، لكنه لا يخطر لأحد أن يسميهم مجانين .

السكرتيرة : مجانين .

الدكتـــور : وقد عاد كل من المرأة والرجل إلى حياته البسيطة وعندما كانا يقابلان الجدة صدفة عند باب المنزل كانا يتظاهران بالضحك ويتحدثان بصوت أكثر ارتفاعا .. أما بالنسبة إلى الرواية الحالية فقـــد استطعت أن أكملها بفضل ما صرح لى به زميل قديم كان يعمل طبيباً في القسم السياسى ، لأنه هناك ، تحت الضغط العضوى يتكلم اللحم . . حسنا ، فلنعد إلى قصتنا ! فقد أوشكت على النهاية وينبغى أن نتمها . كان هذا يحدث في نفس

الأيام التى أطلق فيها بلدنا محطته الفضائية .

(يخرج كل من الدكتور والسكرتيرة من الجانب الأيمن ، يعود الضوء ليغمر منزل عائلة بارنيس ، تنبعث الحياة في مارى ودانييل) .

مارى : لا تتقدم خطوة واحدة !

دانييل : (بعينين مغرورقتين) مارى ! .

مارى : عد اليهم ! . . فأنت ستعود معهم دائما ، رئيساك يعرف هذا ، وأنت أيضاً تعرفه ، لأنك تريد أن تعود ، تريد أن تعود ! .

دانييل : لقد حذرنى الدكتور ، باولوس خدعنى ولن أشفى على الاطلاق .

(ينظر إلى زوجته بامعان ذاهل ، يسترخى ذراعاه ويتهدلان إلى جانبه وتنهمر دموعه على وجهه) .

مارى : أنت مسخ غريب ! .

(دانييل يتقبل الكلمة ، يغمض عينيه ويطأطىء رأسه) .

دانييل : ليس هناك مهرب ! .

(يفتح عينيه وينظر بعمق إلى زوجته وإلى ولده وإلى المسدس) .

مارى : (صارخة) لا تتحرك ! .

(دانييل يبدأ مسيرته ببطء ، تعود مارى إلى الصراخ) لا تقترب ! .

(لكنه يواصل التقدم دون أن يكف عن النظر اليها ، بينما تصرخ هى مرة أخرى وقد وقعت فريسة لنوع

من الرعب الذى لا يمكن التحكم فيه ، تطلق الرصاص في هذه اللحظة ، يقع دانييل وهو شبه باسم ، ثم يتحامل على نفسه ليقوم ويبذل جهدا للنظر إلى زوجته) .

دانييل : شـــكرا !

(تعود مارى لاطلاق الرصاص عليه ، يبكى الطفـــل فتلقى مارى بالسلاح على الارض ثم تأخذ في أرجحـــة الولد وهى تنظر بعيون دهمها العذاب والرعب الى جسد زوجها . . عند الرصاصة الثانية يبدأ ضوء غير حقيقى في انارة المكتب كما تسمع من بعيد « ليالى شوبن » ، تدخل الجدة على عجل من الجانب الايسر ، تنظر الى زوجـــة ابنها والى المسدس وتهرع لتجثو الى جوار جثة ابنها) .

الجـــدة : دانييل ! دانييل ! ولدى . . ولدى ! !

(تجهش بالبكاء ، وفي المكتب يفتح الباب المواجـــــه للجمهور ويدخل منه باولوس الذى يصل الى مكتبه ثم يقف بلا حراك ومن خلفه يدخل بدوره كل من مارسان وبوثنر ولويخى حيث يظلون جميعا بلا حراك ، تنهض الجدة وتنظر بحقد الى مارى قائلة) مجرمة ! . . غدارة ! (تقوم دون ان ترفع عيناها عنها وتجرى الى التليفـــون حيث تطلب رقما ما بعصبية ، تعلو نغمات البيانو بشكل واضح بينما لا يدق اى جرس في المكتب ، لكـــــن باولوس يتناول السماعة وينصت ، تقول الجدة شيئـــا لا يمكن سماعه ثم تضع السماعة ، وكذلك يضع باولوس

السماعة ثم يشير الى مارسان وبوثنر اللذين يهزان رأسهما علامة الموافقة ثم يشرعان في هبوط السلم المواجـــــه، ثم يشير الى لويجى الذى يهز رأسه ويهبط من السلـــــم الأيسر ، مارسان وبوثنر يعبران السلم الى المـــــنزل ويتأملان جثة دانييل التى ينحنى عليها بوثنر ليتأكد من انه فارق الحياة ، بينما يقترب مارسان من مارى ويلتقط المسدس من الأرض بمنديل في يده ثم يبتعد مشيرا اليها بأن تسير وهو يرمقها بنظرات لا يمكن تفسيرها .

في المكتب يعود لويجى الى الظهور من الجانب الايـــسر وهو يقتاد لوثيلا ، تسير مارى ببطء الى الناحية اليمنى ثم تتوقف امام الجدة ، تقبل الطفل بحنان غامر ثم تسلمه اليها . بعد هذا تهبط من فوق المنصة وتبدأ في صعــود السلم يسبقها بوثنر ويتبعها مارسان . وبدون ان ينقطع لحن البيانو ينتقل الى عزف اغنية المهد لبرامز ، تجلس الجدة على المقعد الكبـــير ثم تهدهد الطفل وهى تبكى مختلسة النظر الى جسد ابنها المسجى .

الجـــدة : (بصوت لا يكاد يسمع) كان يا ما كان . . ولـــــد صغير ، اجمل من الشمس ، اسمه دانييليتو . ودانييليتو كان جميلا جدا وطيبا للغاية . . وكانت له أم تعبده ، وتخاطبه قائلة : ولدى دانييليتو سيكبر ويصبح قويا مثل الربان في السفينة . . ودانييليتو يبتسم . . ولانه غاية في الطيبة فسيحبه الجميع ويصيرون اصدقاءه . . ودانييليتو يبتسم . . .

(في هذه الاثناء تصل مارى الى أعلى ، تتبادل نظـــرة عميقة مع لوثيلا ثم تدير كل منهما وجهها الى الجمهور وهى تنظر الى الفراغ كأنها تتأمل مصيرها ، بينمـــا تحيطهما وجوه الرجال الصلبة التى لا تريم ، يخيم الظلام على المسرح كله فيما عدا حزمة من الضوء تنير وجـــه مارى وشعاعا آخر خفيفا يقع على المقعد الحجرى الفارغ بين هذه الظلال تسمع كلمات الجدة الاخيرة وتظـــل أنغام البيانو تنبعث حتى يسقط .

الســـــتار

★ ★ ★

فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	چان آنوى	القبّرة (چان دارك)
٣	هال پورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥/١	هارولد بنتر	١ ــ الخادم الاخرس ٢ ــ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ــ اداموف ــ ارابال ــ البى	دراما اللامعقول
١٢/١	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ١ ١ ــ مس جوليا ٢ ــ الاب
١٢	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعــود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجــولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦/١	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ــ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١٩/٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ٢ الطريق الى دمشق ــ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧/١	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل پونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٣	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان .	انتصار حورس
٣٣/١	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ اوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو-١ ١ - المغنية الصلعاء ٢ - الدرس ٣ - جاك او الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٣٨	كوبر - تشيرشـــل - شارب - بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل -٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحراب المضيء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ - شيطان الغابة ٢ - الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ٢ ١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٤٢/١	لويجي برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجي برانديلو - ١ ١ - ديانا والمثال ٢ - الحياة عطاء ٣ - لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ - ستيفن « د » ٢ - منفيون
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة - سترندبرج - ٤ ١ - الغرماء ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل -٣ ١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦/٢	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٣	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ـ ٣ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى ـ شيزچال	١ ـ الحلم الأمريكى ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	أرمان سالاكرو	الأرض كروية
٥١/٢	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ـ ٢ ١ ـ السلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل القادير
٥٢/٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٢	مارتينس دى لاروزا	ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى

فى العدد القادم

الكــترا
اورستيس — **تاليف : يوريبيديس**

يوريبيديس مؤلف هاتين المسرحيتين ، هو ثالث شعراء المآسي اليونانية الكبار بعد ايسخيلوس وسوفو كليس . ولدسنة ٤٨٥ق.م ومات سنة ٤٠٧ ق.م . دخلت مسرحياته مهرجان ديونيزوس لأول مرة عام ٤٥٤ ق.م. قضى خمسين سنة فى كتابة المسرحيات . وفاز بالجائزة الاولى خمس مرات ، كانت خامسها بعد وفاته .

واذا كان كـل مـن ايسخيلوس وسـوفوكليس يمتـاز على يوريبيديس فى ابداع «فن» المأساة ، فمما لا شك فيه ان يوريبيديس كان ابعد منهما تأثيرا فى الكتاب من بعده عبر العصور ــ وخصوصا شيكسبير الذى تأثر به تأثرا عميقا ــ وفى الاجيال المتعاقبة بصفة عامة على مر الزمان ، لقربه اكثر من طبيعة الانسان ونوازعه ، الانسـان العادى على العموم .

وقــد قدمت مسرحيته **الكترا** عــلى المسرح سنة ٤١٣ ق.م. وعرضت « اورستيس » سنة ٤٠٨ ق.م.

وتعرض مسرحية **الكترا** لموضوع انتقـام اورستيس واخته الكترا من امهما كليتمنسترا وعشيقها ايجستوس لقتلهما اباهمـا اجاممنون عقب عودته منتصرا فى حرب طروادة ، وما تنحسر عنه موجة الانتقام من ندم لقتلهما امهما التى حملتهما واخرجتهما الى هذا الوجود .

وتتعرض مسرحية **اورستيس** ــ التى تـدور احداثها بعـد ايام من مقتل ايجستوس وكليتمنسترا ــ لمحاكمة الاخوين والحكم باعدامهما ومحاولتهما اليائسة للخلاص او تدمير اعدائهما معهمـا جميعا .

وتتميز **الكترا** بالصـدام الدموى الفاجـع . بينما يتمثل فى اورستيس اشـد ما يتميز بـه يوريبيديس مـن براعة فى تصوير الحب الاخوى والجموح ونوبات الجنون .

فى هذا العدد

القصة المزدوجة للدكتور بالمى **انطونيو بويرو باييخو**

« انطونيو بويرو باييخو » (المولود فى مدينة « وادى الحجارة » سنة ١٩١٦) يقف على راس مرحلة جديدة فى تاريخ المسرح الاسبانى المعاصر منذ أن أخرج فى سنة ١٩٤٩ مسرحيته **قصة سلم** – التى ستنشر فى وقت لاحق بالسلسلة – وهو مؤلف بدأ حياته رساما ولكن الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ – ١٩٣٩) قطعت عليه دراسته فاشترك فى أحداثها محاربا فى صفوف الجمهوريين حتى انتهى ذلك الصراع بهزيمة الفريق الذى كان مؤلفنا ينتمى اليه ، فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام ثم خفف بعد ذلك الى السجن حيث قضى سنوات سبعا خرج بعدها فى سنة ١٩٤٦ ليمارس الكتابة المسرحية ، وفى هذا الميدان برز باييخو باعتباره اليوم واحدا من اكبر الكتاب الطليعيين .

ومسرح باييخو غنى متنوع يدور جانب منه حول الطبيعة الانسانية فى اطار ما تتصل به وتتفاعل معه من مشكلات اجتماعية وسياسية ، والى هذا النوع من المسرح الذى يقدم لنا وثيقة اجتماعية من الطراز الاول تنتمى مسرحية **القصة المزدوجة للدكتور بالمى** ، والمؤلف فيها ملتزم بقضية محددة هى حق الانسان فى ممارسة حريته الفردية والاجتماعية بغير ضغط ولا ارهاب ، وذلك من خلال ادانة أعمال التعذيب السياسى .

وهو يقدم لنا هذه المشكلة فى جذورها التاريخية العميقة دارسا أسبابها النفسية ومستنفدا كل ما يمكن ان يقال فى تبرير التعذيب منتهيا الى أن مثل هذه الاعمال لا تقضى على ضحاياها فقط وانما على مرتكبيها ايضا .